جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

المغرب الأوسط في ظل الحروب والصراعات ما بين القرنين السابع والعاشر هجريين
07 – 10 هـ /13 – 16 م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الوسيط والحديث

من إعداد الطالبين:

محمد الصالح قسومة

ياسين اعجال

الأستاذ المشرف:

أ. الإمام بريك

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	الجامعة
أ. واعظ نويوة	رئيسا	جامعة حمه لخضر بالوادي
أ. الإمام بريك	مشرفا ومقررا	جامعة حمه لخضر بالوادي
أ. السعيد عقبة	عضوا مناقشا	جامعة حمه لخضر بالوادي

السنة الجامعية :1437 – 1438 هـ /2016 – 2017 م

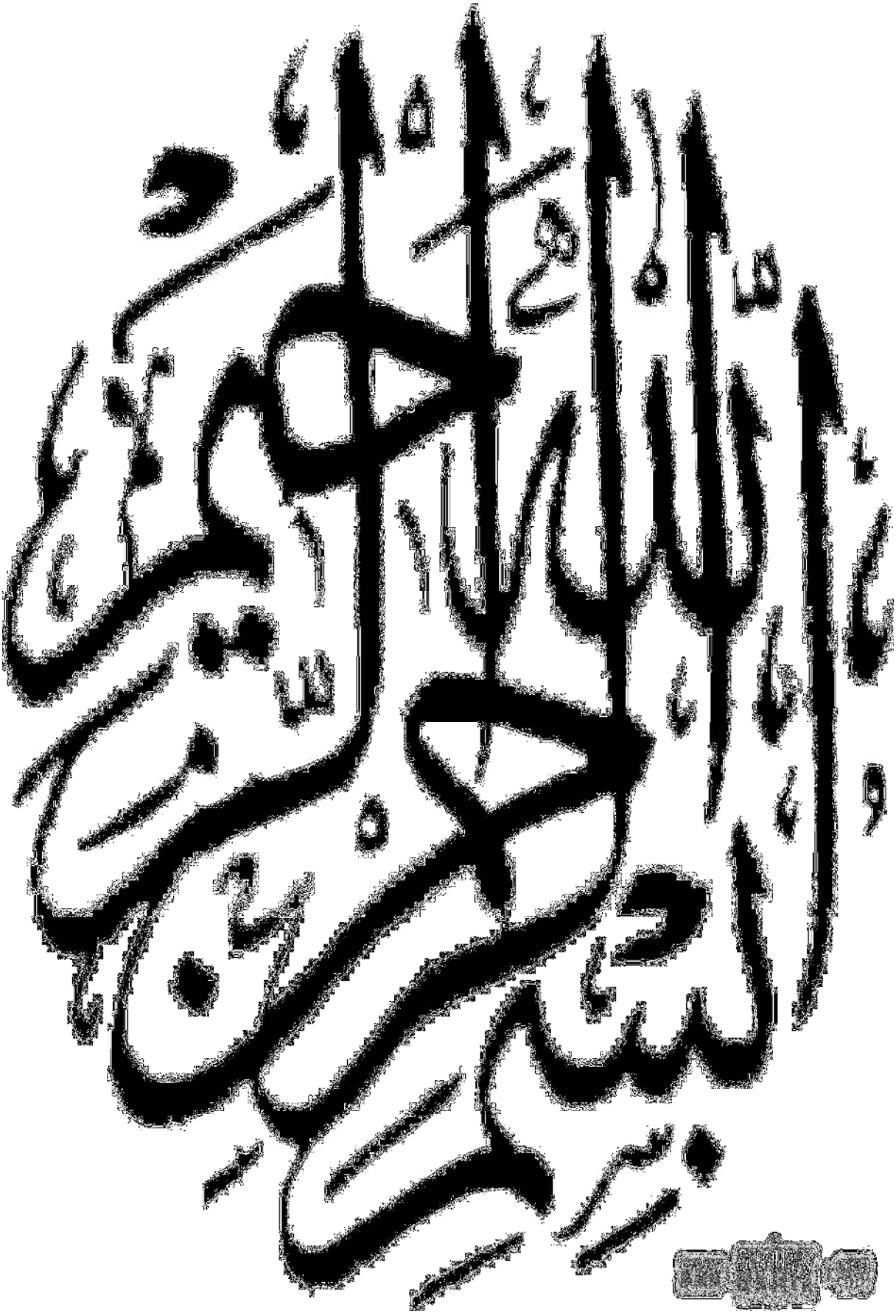

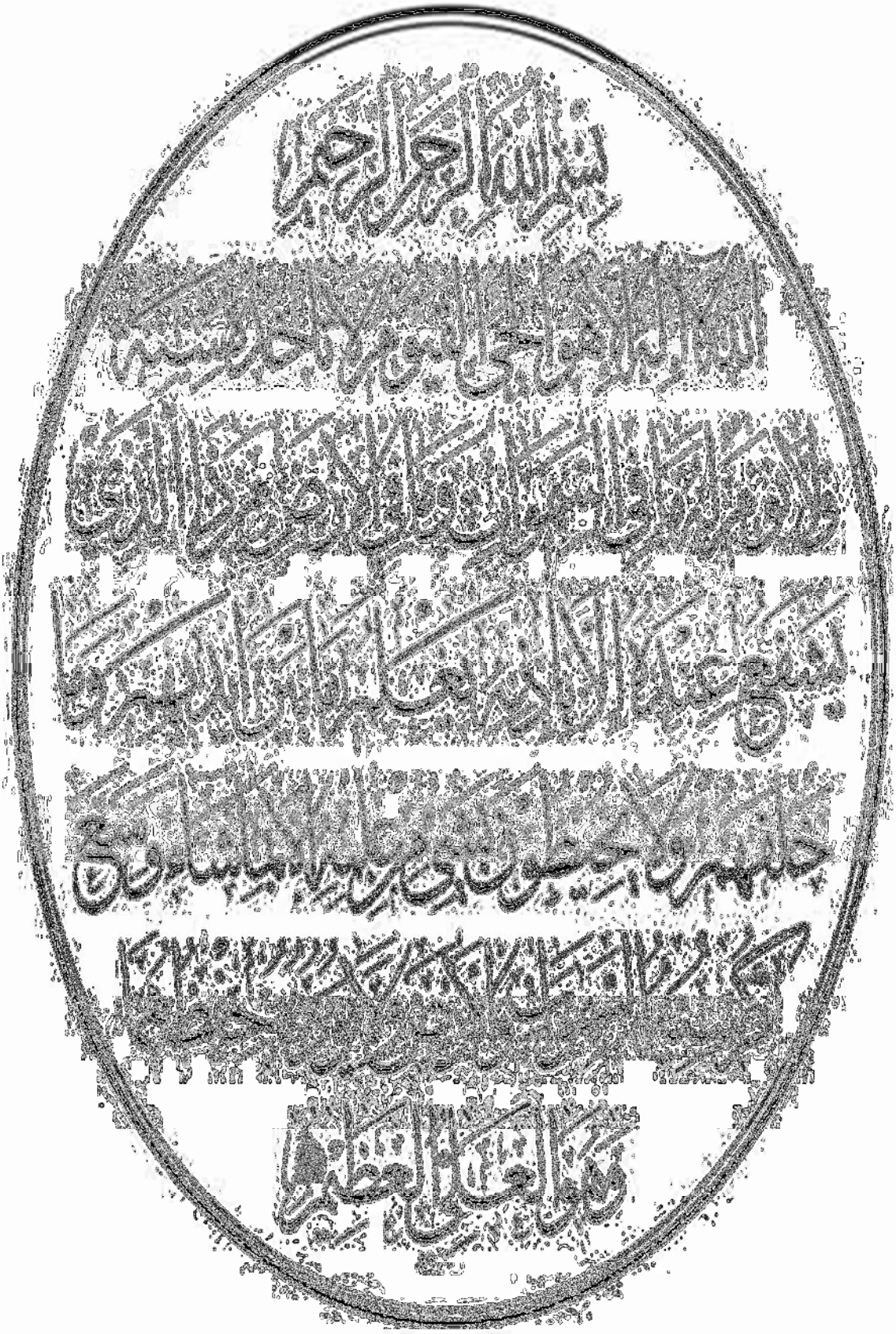

الإهـــــــــداء

ربي نحمدك حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطـــــانك .

لا يسعني في هذا المقـــام النبيل إلا أن أهدي ثمرة جهدي

إلـــى:

أمي الغـــالية وإلى روح أبي الطـــاهرة رحمه الله

وأسكنه فسيح جنـــانه

وإلى أســـاتذتنا الأفاضـــل الـــذين

أعانونا في دراستـــنا راجين من المولى عزَّ وجلَّ أن يوفقهم

إلى ما هو خيـــر وصـــلاح . . .

وإلى كل رفقـــاء الحياة وكذا زمـــلاء الـــدراسة

. . . دون أن ننســـى كل من قدم لنا يد العون . . .

قســـومة محمد الصـــالح

الإهـــــــــداء

إلى من لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك اللهجل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم

تذبل الورود وتزهر وتختفي الشمس وتظهر ولا تفنى العزيزة الغالية التي غمرتني بحنانها وزودتني بعطفها و كرست لي كل وقتها وجهدها ورافقتني خطوة بخطوة إلى أن أتممت مشواري الدراسي وكانت خير قدوة لي أمي الغالية

إلى من علمني العطاء بدون انتظارإلى من أحمل أسمه بكل افتخار والدي العزيز أطلب من الله أن يمد في عمره

إلى النجوم الزاهرة رياحين حياتي إخوتي وأبناءهم وكافة الأهل والأقارب

إلى أساتذتي الفضلاء الذين تابعونا في دراستنا ولم يبخلوا علينا توجيهاتهم ونصائحهم وإرشاداتهم طيلة فترة الدراسة التي بفضلها ننجز بحثنا وفق أسسعلمية

إلى كل من عرفني من قريب أو بعيد وكان لي عونا وسندا

وكل طلبة شعبة التاريخ وخاصة تاريخ وسيطدفعة 2017

إلى كافة الأصدقاء الذين حفظهم القلب ولم ينطق بهم اللسان

إلى من تقاسمت معه عناء العمل وكان رفيق مشواري محمد الصالح

إلى بلد المليون ونصف المليون شهيد حبيبتنا الجزائر

اعجال يسين

شـــــكـــــر وعـــــرفـــــان

ومن لا يشكر العبد لا يشكر الله ومن لا يعترف بأفضال الناس يكون ناكرًا للجميل

فالحمد لله الذي هدانا فأوقد فينا شعلة العلم وزرع في أنفسنا حب الاجتهاد والنجاح

واعترافًا منا بكل ما قدمه إلينا أستاذنا الفاضل " بريك الإمام " بفائق عبارات الاحترام والتقدير والشكر الجزيل على صبره معنا وقوفه إلى جانبنا وعلى تحفيـــزه لنـــا علـــى مواصلة درب العلم ودعمه لنا في كل خطوة كنا نخطوها صوب تحقيق النجاح فتمنياتنا أن نكون على حسن ظنه كما نشكر الدكتور محمد بن عربة (جامعة سيدي بلعباس) والأستاذ أحمد بن تيشة والأستاذ فرج قطوطة على جميل نصائحهم التي أسدوها لنا كما نشكر جميع عمال المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية لولاية الوادي بالزقم – حساني عبد الكريم –

وفي هذا المقام لا يمكننا أن ننسى أساتذة قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ والتقدم لهم بتشكراتنا الخالصة على كل ما بذلوه خلال مشوارنا الجامعي ولم يبخلوا علينا بأي معلومة ونشكرهم على مساعدتهم لنا

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة

ونشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد

لإنجاز هذا العمل المتواضع

وشـــــــكـــــــــــــــــرًا

محمد الصالح

يسين

مـــقـــدمـــة

لقد عرفت بلاد المغرب الأوسط قيام العديد من الدول الإسلامية, وكان من أبرزها وأهمها، الدولة الزيانية أو العبد الوادية كما ذكرتها وسمَّتها الكتب والمصادر التاريخية, والتي كان ظهورها عند ضعف الدولة الأم, ألا وهي دولة الموحدين, حيث انفصلت عنها وتريسوا المغرب الأوسط, وكانت تلمسان عاصمة لها بالمنطقة، واستطاعت هذه الأخيرة فرض نفسها وهيبتها بقوة, وهذا ما جعلها تعمر قرابة ثلاثة قرون, شهدت فيها الدولة الزيانية عدة أحداث كان لها تأثير على منطقة المغرب الأوسط خاصة وعلى منطقة المغرب الإسلامي عامة, و في ظل وجود دويلات كانت تحمل العداء لها، ألا وهما دولتا بني حفص وبني مرين.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات حول منطقة المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، إلا أنه لم تكن هناك دراسة بارزة تتناول الصراع السياسي لدولة بني زيان مع جارتيها الحفصية والمرينية, حيث أن هذا الموضوع جدير بالدراسة, لكونه يحمل في ثناياه العديد من القضايا والأحداث التي كان لها تأثير على الدولة الزيانية خاصة, ومنطقة المغرب الأوسط عامة, وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع، لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة التعرَّف على أوضاع المغرب الأوسط في ظل الصراعات والحروب التي اتَّسم بها تاريخ المغرب الإسلامي كلل.

حدود البحث:

تشمل هذه الدراسة الفترة الوسيطة, أي بعد سقوط دولة الموحدين, وظهور الدويلات الثلاثة, الحفصية, والزيانية, والمرينية, ولذلك تم اختيار الفترة الزمنية المتمثلة في القرن السابع إلى العاشر هجري, وتنتهي عند القرن الثالث عشر إلى السادس عشر ميلادي, (7- 10هـ/13- 16م), وهي الفترة التي دامت فيها الصراعات وتأزم العلاقات بين القوى الثلاث.

إشكالية وفرضيات البحث:

تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل الآتي:

ـــ كيف كانت الأوضاع العامة للمغرب الأوسط في ظل الصراع الزياني مع كل من الحفصيين والمرينيين؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية أبرزها:

- ما هي العوامل التي ساهمت في ظهور القوى السياسية الجديدة بالمغرب؟.
- ما هي الأسباب والدوافع التي أدت إلى صراع هذه القوى؟.
- ما هي أبرز النتائج التي انجرت عن هذا الصراع؟
- كيف انعكست على منطقة المغرب الأوسط سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا؟.

- دواعي اختيار الموضوع:

تكمن أهمية اختيارنا لهذا للموضوع في كون هذا الموضوع في حد ذاته شغل كل الفترة الزمنية الوسيطة, وعلى الرغم من ذلك أنه لم يحظى بالدراسة كموضوع أساسي, وإنما جعل كجزء مختصر في المواضيع التي سبقت في دراسة تاريخ منطقة المغرب الأوسط أو الدولة الزيانية, وكذلك نطمح من خلال هذه الدراسة أن نستوفي كل صغيرة وكبيرة تخصُّ الصراعات والحروب التي ميزت هذه الفترة من تاريخ المغرب الأوسط, هذه هي الأهداف التي نرّجو الوصول إليها بإذن الله من خلال هذا البحث وهي كما يلي:

- معرفة أسباب الصراع الطويل لدولة بني زيان مع الحفصيين, خاصة مع بني مرين.
- النتائج التي تمخض عنها الصراع لكل الجوانب سوى السياسية, الاقتصادية, الاجتماعية, الثقافية, العمرانية.

المناهج المتبعة:

ـ **المنهج التاريخي:** وهو المنهج الرئيسي والأنسب, إذ من خلاله سنحاول إحياء جانب من الجوانب التي ميزت الفترة الوسيطة للمغرب الأوسط, وذلك من خلال المصادر المسجلة آنذاك.

ـ **المنهج التحليلي:** وهو الذي سنقوم من خلاله بتحليل المعلومات التي جاءت بها المصادر, وهذا لمعرفة الأسباب الحقيقية التي أشعلت الصراع.

ـ **المنهج الوصفي:** وهو الأخر الذي احتجناه في دراستنا هذه, وذلك لوصف أوضاع المغرب الأوسط أثناء وبعد الصراعات والحروب التي شغلت كل الفترة المذكورة آنفا.

ـ **تقسيمات الدراسة:**

من أجل الإجابة على الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية المطروحة, قمنا بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة, حيث تطرقنا في المدخل المعنون بأوضاع المغرب الإسلامي قبل مطلع القرن السابع هجري (الثالث عشر ميلادي), والذي توصلنا فيه إلى أن انبثاق هاته القوى الجديدة (الحفصية, الزيانية, المرينية), إنما جاء بعد الضعف الذي لحق بالدولة الموحدية التي كانت تحمي عرين الإسلام والمسلمين في داخل البلاد وخارجها.

ـ **الفصل الأول:** تكلمنا فيه عن قيام الدويلات الثلاث, وقد احتوى على ثلاث مباحث:

تضمن الأول ظهور الدولة الحفصية, وذلك مرورا بالأصل والتأسيس والمجال السياسي للدولة.

أما المبحث الثاني فشمل ظهور دولة بني زيان, تضمنت مطالبه هو الأخر الأصل والتأسيس والمجال السياسي للدولة الزيانية.

والمبحث الثالث كان حول الدولة المرينية, أيضا مطالبه كانت مشابهة. لمطالب المبحثين الأول والثاني.

ـ **الفصل الثاني:** وقد تطرقنا فيه إلى مبحثين, شمل المبحث الأول الصراع الزياني المريني, وتناولنا فيه نشأة الصراع وبدايته بين الطرفين, ثم مظاهر الصراع, وفي العنصر الأخير تطرقنا إلى تواصل الصراع بين بني مرين وملوك بني زيان.

أما المبحث الثاني فعنوناه بالصراع الزياني الحفصي, تطرقنا في المطلب الأول إلى طبيعة العلاقات الزيانية الحفصية, ثم في المطلب الثاني أدرجنا فيه التبعية الزيانية للحفصيين, أما المطلب الثالث درسنا فيه احتدام الصراع بين الطرفين ومحاولة فك التبعية.

ـ **الفصل الثالث:** ويتناول هذا الفصل نتائج الصراع السياسية, والاقتصادية والاجتماعية, وكذلك الثقافية والعمرانية. ويعتبر هذا الفصل من أفقر الفصول من ناحية المادة العلمية, حيث وجدنا صعوبة في جمعا أكبر عدد ممكن من المعلومات خاصة التي تخص الجانب الاقتصادي والاجتماعي, لان المادة العلمية التي بحوزتنا لم تتطرق كثيرا لهذه النتائج.

ـ **دراسة المصادر والمراجع:**

01- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1405م), يعد من أهم مصادر بحثنا, وقد استفدنا من الجزئيين السادس والسابع, وذلك لكونهما مهمين من حيث المادة العلمية التي يحتاجها بحثنا, وقد اعتمدنا النسخة التي راجعها سهيل زكَّار,وطبعت في بيروت, 2001 ويعتبر ابن خلدون من بين الذين عايشوا فترات الصراع, وشهدوا الأحداث عن كثب ودوَّنوها.

02- كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: لأبي زكريا يحي بن خلدون (ت780هـ/1378م) وهو في جزئيين, خصص الأول للتعريف لإقليم المغرب الأوسط وتاريخه إلى قيام الدولة الزيانية, وذكر سلاطينها حتى انتهاء الدور الأول من تاريخها, أما الجزء الثاني فقد خصص لعهد أبو حمو موسى الثاني, وما شهده من نشاط ثقافي وسياسي,وقد قام الدكتور عبد الحميد حاجيات بتحقيق ونشر الجزء الأول منه.

03- كتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي (كان حيا سنة894هـ/1499م), تحقيق محمد ماضور, إصدار المكتبة العتيقة بتونس، هذا الكتاب يتحدث عن تاريخ المغرب العربي, وبالأخص تونس (المغرب الأدنى ـ تونس), ما بين القرنين السادس والتاسع هجري, الثاني والخامس عشر ميلادي, وقد احتوى الكتاب على معلومات هامة تحض دول المغرب الثلاث في نفس الفترة, وخاصة العلاقات الخارجية لتلمسان مع الدولة الحفصية.

04- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الجليل التنسي التلمساني الذي ولد بتلمسان سنة830هـ, ونشأ بها, وقد قام بتحقيق هذا الكتاب محمود بوعياد 1985 م،ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي دونت للدولة الزيانية خاصة في عهد يغمراسن بن زيان.

05- الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية: لإبن أبي زرع الفاسي, وهو كاتب أرَّخ للدولة المرينية وعلاقتها بني عبد الواد, حيث جاءت جل مواضيعه بأخبار سياسية وعلمية, وكذلك بعض المعلومات الاقتصادية والاجتماعية وغلاء أسعار المواد الغذائية وكذا الظروف الصحية.

06- روضة النسرين في دولة بني مرين: لأبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر النصري الأمير الغرناطي الشاعر الكاتب المتوفى سنة (808هـ/1404م), قام بنشره الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بالرباط سنة 1962م، ورغم صغر حجمه إلا أنه تناول تاريخ بني عبد الواد من الجانب الخاص, فهو سجل يتضمن أسماء ملوكها, وألقابهم, وأنسابهم, وتواريخ ميلادهم ووفاتهم, ويلاحظ أن ابن الأحمر نقل كثيرا من فقرات الذخيرة السنية, فأوردها برمتها دون إسنادها إلى مصدرها.

صعوبات الدراسة:

من أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث, محاولة استخلاص نتائج الصراع على المنطقة (المغرب الأوسط), حيث أن المصادر كانت شحيحة في ذكر بعض النتـــائج التـــي انجرَّ عنها هذا الصراع, وخاصة الاجتماعية والاقتصادية.

كلمة شكر:

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل, إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة وعلـــى رأسهم الأستاذ المشرف ليمام بريك وكل من قدم لنا يد المساعدة من قريب وبعيد.

مـــدخـــل

أوضاع المغرب الإسلامي قبل مطلع القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي

مدخل:

- أوضاع المغرب الإسلامي قبل مطلع القرن السابع هجري (الثالث عشر ميلادي).

لقد كانت دولة الموحّدين[1] حقا أعظم دولة عرفها المغرب الإسلامي، حيث امتدت سلطتها وأيام عزّها من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود مصر شرقا، ومن البحر المتوسط وبلاد الأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا[2]، فقد استطاعت هذه الدولة أن تحافظ على استمرارية وحدة ترابها تحت نظام إداري مركزي موحّدي[3].

كما ظلّت الدولة الموحدية تمثل قوة سياسية وعسكرية ضاربة في غرب البحر الأبيض المتوسط، فنَعِم المغرب في عهدها بالاستقرار والازدهار الذي لم يعرفه من قبل، ففاقت ما سبقها من دول المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط عظمة ونفوذا[4]، ولم تتمكن الأخطار الخارجية من هزِّ أركانها[5].

وفي الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يُعاني من وطأة الحروب الصليبيّة المدمرة، والهجوم المغولي الكاسح والاسترداد الإسباني المطرد، كان الموحدون في ذلك الوقت حُماة دار الإسلام في المغرب والأندلس، حيث ساهموا في ردّ العدوان الصليبي على بيت المقدس إلى جانب إخوانهم في الدّين من أهل المشرق بجيوشهم البرية وأساطيلهم البحرية[6].

---

[1] ينظر الملحق رقم 01 : ص 67

[2] خالد بالعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**،دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 51.

[3] عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، دار النشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص13.

[4] خالد بالعربي: المرجع السابق، ص 52.

[5] لخضر سيفر: **التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي**، ج1، الأمن للدراسات، الجزائر، 2007، ص 219.

[6] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 13.

واستمرت دولة الموحّدين في عزّ وازدهار حتى نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي) ومطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي)، لكن بدأت أحوالها تتغير والأمور تتبدّل على الساحة المغربية والأندلسيّة[1]، ولا سيما بعد معركة حصن العقاب[2], المشؤومة في الأندلس سنة (609هـ/1212م)[3]، حيث وصلت الأخبار للخليفة الناصر لدين الله[4] أنّ الملك ألفونسو الثامن(Alfonso VIII)[5]، يفتك في بلاد المسلمين ويضرب على قُراها وعلى حصونها ويقتل الرجال ويسبي النساء والأموال.

استغاث أهلها بالخليفة النّاصر فأخذ في الحركة للجهاد وفرّق الأموال على القوات والأجناد وكتب إلى جميع بلاد المغرب وتكاملت لديه الوفود واستوفت عليه الجنود والحشود[6]، وفي أواخر ذي الحجّة من (609هـ/1212م), التقى الجمعان

---

[1]خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 54.

[2]**حصن العقاب:** موضع بالأندلس بين جيّان وقلعة رباح، وقعت فيه معركة بين الموحدين والنصارى الأسبان وانهزم فيها الموحدون سنة 609هـ / 1212م، ينظر: عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص 416 .

[3]خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 54.

[4]**أبي عبد الله الناصر:** هو محمد بن يعقوب بن يوسف عبد المؤمن، الملقب بالناصر، خليفة موحّدي تولّى الخلافة سنة 595هـ/1199م ، بعد وفاة أبيه يعقوب المنصور، في عصره لم يشهد إنجازات كالتي شيدها أبوه، انهزم أمام ألفونسو في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، توفي سنة 610هـ/1213م، ينظر: عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العربان، د ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، (د . ت)، ص 175.

[5]**ألفونسو الثامن (Alfonso VIII):** ملك قشتالة ويلقب بالنبيل، ورث عرش قشتالة عن أبيه صانشو الثالث (Sancho III)سنة 1169م، وعمره لا يتجاوز 14 سنة، تميز بعدائه للمسلمين ورغبته الجامحة في غزو أراضيهم ودوره الكبير في تنشيط وتنظيم حركة الاسترداد، ينظر: عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الثالث، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى ، ط2، القاهرة، 1411هـ/ 1990م، ص- ص 587-588.

[6]ابن أبي زرع الفاسي:**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب تاريخ مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة، الرباط، 1972، ص 154.

بموضع يُعرف بحصن العقاب[1] وضُرِبَ للنّاصر قُـبّتهُ الحمراء المُعدَّة للقـتال على رأس ربوة، وقعد أمامها على درقته وفرسه قائما بإزائه ودارت العبيد بالقبّة مـن كل ناحية ومعهم السلاح التّام، ووقفت السَّاقات والجنود والطبول أمام العبيد[2]، وأقبلت جُمـوع الفرنج على مصافها كأنها الجراد المنتشر، فتقدمت إليهم المُـتطوعة فاقتـتلوا قتالا شديدا فأستشهد المتطوعة عن آخرهم.

ولمّا فرغ الإفرنج مـن المتطوعة حـملوا بأجمعهم عـلى عساكر الموحّدين والعرب حملة منكرة وركبتهم الفرنج بالسيف وكشفوهم عن النّاصر، وعندما وصل الفرنجة للدائرة وجدوها كالبنيان المرصوص من العبيد والحشم، فالقوا بخـيلهم المدرعة على رماح العبيد وواصلوا ذلك حتـى دخولهم على النّاصر، حيث قُـتل آلاف العبيد، وفي هذه الأثناء وصل فرسان العرب، وطلبوا من النّاصر القيام لأنّ الأمر قد انقضى، فحكمت سيوف الفرنج في المسلمين إلى الليل، وكـانت هـذه الرّزيّة العظيـمة يـوم الاثنين 15 صفر سنة 609هـ، وذهبت قوة المسلمين بالمغرب والأندلس من يومئذ لم تُنصر لهم راية بعدها[3].

لقد كانت آخـر فترة الإسـلام في الأندلس مرتبطة بفشل الموحـدين فـي صـد هجمات المماليك من الشرق مملكة أرغون, ومن الشمال مملكة قشتالة, والبرتغـال مـن الغرب. حيث اعتبرت هذه الهزيمة النهائية الحقيقية لمسلمي الأندلس, وتلتها عدة أزمـات من بينها الثورة التي قام بها بنو غانية, زد على ذلك الحروب التي نشبت بين بني مـرين والموحدين, سنة 612هـ/1216م.

---

[1] ينظر الملحق رقم 02: ص 68.

[2] السلاوي (أحمد بن خالد الناصري): **الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى**، ج1 ، دار الكتـاب الإسـكندرية، 1954م، ص- ص 192- 193.

[3] نفسه: ص 194.

كانت هذه الهزائـــــم المتتالية للموحدين سببا فـــي ضـــعفهم وضـــياع هيبـــتهم , واعتبرت هذه المرحلة نهاية عصر القوة للدولة الموحدية, فقد كانت وفاة محمد الناصـــر بداية عصر الانحلال و التفرقة, والتنافس على عرش الخلافة, وبتولي أبو يعقوب يوســـف سنة (610 /620هـــ)[1], الملقب بالمستنصر إذ لم يكن عمره يتعدى 16 سنة, وكان بعيدا عن أمور الإدارة وتسير شؤون البلاد, فبدأ الأشياخ يستعيدون سلطانهم, فظهر خلل الإدارة الموحدية, وكثر قيام القبائل وخروج رجالهم عن طاعة الموحدين, ولما توفي يعقوب بـــن يوسف سنة 620هـــ, تم تعيين عبد الواحد سنة(621/620هـــ) , بحيث كان شيخا كبيـــرا يتجاوز الستين من عمره, وقد بويع من بعده عدة خلفاء أشهرهم المأمون بـــن منصـــور[2], الذي وقعت في عهده حوادث كثيرة أدت إلى ظهور ثلاث دويلات في المغرب الإســـلامي وهي الدولة الحفصية بتونس, والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط, والدولة المرينية بالمغرب الأقصى[3] [4] .

[1]ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، ط1 ، 1421هـــ/2001م، ص 10.

[2]نفسه, ص- ص 14- 15.

[3]ينظر الملحق رقم 03: ص 69.

[4]حاج عبد القادر: العلاقات الخارجية للدولة الزيانية, مج , العصور الجديدة , العدد 2, عدد خاص بتلمســـان عاصـــمة الثقافة الاسلامية 1432هـــ/ 2011, ص 143.

الـــفـــصـــــل الأول : ظهور القوى السياسية الجديدة بالمغرب.

المبحث الأول: الدولة الحفصية.

المبحث الثاني:الدولة الزيانية.

المبحث الثالث: الدولة المرينية.

المبحث الأول: الدولة الحفصيّة[1].

1: أصل الحفصيّين:

يعودُ أصل الحفصيّين إلى أبي حفص بن يحيى بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن ولا لبن إدريس بـــن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمـــر بن وافتن بن محمد بن محبـــة بن كعب بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، وهـــم مـــن قبيـــــلة هنتـــاتة، أحد فروع قبيلة مصمودة، مـــواطنها بجبال درن القـــريبة من مراكش، وقد كان الشيخ أبو حفص أحد رجالات الدولة الموحدية، وفي عهدها الأول من العشرة المقـــربين للإمام المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي الكومي[3].

واسم هنتات جدهم بلسان المصامدة، حتى كان كبيرهم لعهد الإمام المهدي الشـــيخ أبو حفص عمر بن يحيى الذي ذكرناه سابقا، ونقل البيدق أن اسمه بلسانهم فصار صكّات وهنتاتة لهذا يقول أنه اسم جدهم، وكان عظيما فيهم متبوع غير مدافع، وهو كما قلنـــا أول من بايع الإمام من قومه[4].

2: لمحَّة تاريخية عن تأسيس الدولة الحفصية:

تعود بدايات الدولة الحفصية عندما انتصر عبد الواحد بن أبي حفص على يحيـــى بن غانية في معركة تاجر (602هـــ/1205م)، حيث ازدادت قيمتـــه ومكـــــانته لـــــدى سلطان الموحدين (الناصر بن المنصور)، لهذا عندما أراد الناصر الموحدي اختيـــار وال جديد على إفريقية قبل عودته إلى مراكش، لم يرى من هو أولى بذلك من عبد الواحد بـــن

---

[1] ينظر الملحق رقم 04: ص 70.

[2] أبو عبد الله محمد بن أحمد الشّماع: **الأدلّة البيّنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصيّة**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م، ص 48.

[3] حساني مختار: **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج1، دار الهدى، عين مليلة،الجزائر، 2013م، ص 184.

[4] عبد الرحمان بن خلدون: **كتاب العبر, وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، دار الفكر، بيروت لبنان، 1431هـــ/ 200م، ص 370.

أبي حفص بالرغم من أن هذا الأخير لم يكن راغبا في ذلك أوفي تلك الولاية[1]، لأنه كان يرغب في أن يبقى ضمن شخصيات السلطة المركزية في مراكش، لأنه في ذلك الوقت كان عميد شيوخ الموحدين وأعلاهم مكانة، وأشدهم نفوذا لدى الخليفة، وكان يمت إلى الناصر بصلة النسب الوثيق، إذ كان متزوج بأخته ابنة يعقوب المنصور[2]، لكن ما لبث حتى وافق على تلك الولاية بشروط شرطها على الناصر، ووفى له بها، فرفعت رايته بين الموحدين، وارتحل الناصر إلى المغرب، ورجع المولى أبو محمد عبد الواحد عنه بعد وداعه من بجاية، فقصد الإمارة في قصبة تونس في يوم السبت 10 شوال 603هـ/ 1 ماي 1207م، وتعتبر ولاية عبد الواحد بن أبي حفص على افريقية تمهيدا لانبعاث دولة جديدة في تونس[3].

رحب أهل افريقية به وبولايته واستبشروا به خيرا، وقام بدور كبير في مقاومة ابن غانية كما قام أيضا بإصلاح الأمور وأحسن التدبير، وأما عن السياسة المالية فقد نفذها واستطاع أن يضع الأمور في نصابها في كل افريقية[4]،لتوافيه المنية – رحمه الله– سنة (618هـ/1221م) بعد مدة حكم دامت 14 عاما، ليتولى الولاية أبو زكريا يحيى بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، وذلك يوم الثامن عشر لشهر رجب من عام (625هـ/ 24 جوان 1228م)[5].

ويعتبر أبو زكريا أول من استبد بافريقية من بني حفص، وفي عهده نستطيع القول بأنه وقع الانفصال الرسمي عن الموحدين، وامتدت حدود دولته الجديدة واتسع

---

[1] ابن الشّماع: المصدر السابق، ص 49.

[2] محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص 83.

[3] نفسه، ص 99.

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،1994م، ص 39.

[5] ابن الشّماع: المصدر السابق، ص 54.

نفوذها من طرابلس شرقا إلى سبته غربا، وإلى سجلماسة جنوبا، وكان الأمير أبو زكريا ملكا فاضلا عالما كاتبا صليب الرأي[1].

وإذا رجعنا إلى الأسباب التي شجعت أبا زكريا بالانفصال وتأسيس كيان سياسي حفصي مستقل عن الدولة الموحدية سنجدها ترجع إلى:

- ضعف دولة بني عبد المؤمن وانهيارها في المغرب والأندلس بعد الموقعة الشهيرة موقعة العقاب 1212م[2].
- قتل الخليفة الموحدي إدريس للموحّدين بمراكش وخصوصا من هنتاتة التي تعد قبيلة الحفصيين[3].
- استقلال أبي زكريا بتونس ودخولها سنة 628هـ بعد حصارها ثم رحل إلى بجاية التي احتلها[4]، وبهذا دخلت تحت السلطة الحفصية على يده من قبل سنة (626هـ/1226م)، ويعتبر إعلان البيعة الثانية للأمير أبي زكريا (634هـ/1237م) نقطة تحول في تاريخ البيت الحفصي،إذ نستطيع القول أنه تاريخ ظهور الدولة الحفصية، وأصبح لها حدود ولها أمير بويع للإمارة من قاضي القضاة العلماء، ورجال الدين، وأمر أن تقام الصلاة باسمه، وهي صورة من صور الاستقلال[5].
- انفراد أبي زكريا بولاية تونس أضاف لها قسما من تراب المغرب الأوسط يمتد إلى قرب تلمسان، وكانت أيام حكم أبي زكريا لتونس أزهى أيام الحفصيين ومن

---

[1] محمد علي الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، ج2، دار الجوزي، القاهرة، مصر، 2007م، ص 545.

[2] ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، 1982م، ص 69.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 335.

[4] أبو عبد الله محمد الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ص 25.

[5] نفسه: ص 32.

العصور الزاهرة لهم، وكذلك فترة حكم ابنه المستنصر(647- 675 هـ /1249-1277م)، كانت الدولة أعظم وأخطر مملكة في العالم الإسلامي[1].

3: الحدود الجغرافية السياسية للدولة الحفصية.

لما أصبح أبو زكريا (626 - 647هـ) متوليا على إفريقية دون منازع[2]،وامتدت رقعة دولته من طرابلس إلى ما قبل قسنطينة ثم بدأ حكمه بفتح بجاية وقسنطينة من أملاك المغرب الأوسط عام 628هـ، وقبض أبو زكريا على والي قسنطينة ووالي بجاية، واستمرت فتوحاته تجاه المغرب أيضا، فارتحل على الجزائر واستولى على الشلف والبطحاء وطاعته بلاد مغوارة[3]، كما أطاعه بنو منديل، وبعد أن حقق أبو زكريا فتح بلاد المغرب الأوسط قام بفتح تلمسان حاضرة بلاد المغرب الأوسط جاعلا الطريق إلى الاستيلاء على عرش مراكش[4]، وضمّ إليه الدولة الحموديّة في القلعة، كما أنّ سُمعته الدوليّة ونفوذه المعنويّ كانت تنُوبُ عن عمله العسكري، فبايعهُ الجُزء الشّمالي من المغرب، طنجة وسبته، القصر الكبير، مكناس وكثير من المدن المغربية التي خطبت باسمه وبايعه المرينيون في بداية عهده، وهكذا استطاع نفوذه العملي[5]، أن يمتد من طرابلس شرقا إلى مدينة الجزائر غربا[6]، وشمال المغرب ووسطه[7].

---

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص 27.

[2] محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 132.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق, ج6, ص 386.

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 29.

[5] عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص 229.

[6] محمد العروسي المطوي:المرجع السابق، ص 132.

[7] عبد الكريم غلاب: المرجع نفسه، ص 229.

المبحث الثاني: الدولة الزيّانيّة[1].

1: أصل الزيانيين ونسبهم:

إن بني عبد الواد فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته[2] البربرية وموطنها الأصلي المغرب الأوسط، وفي ذلك يقول ابن خلدون:" والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال موطن زناته"[3]، وهي أقوى القبائل البربرية البترية عددا وعدة وتنسب إلى مادغيس الأبتر[4]، بينما يرجع يحيى بن خلدون الأنساب إلى بكر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزاربن معد بن عدنان[5].

وينقسم بنو عبد الواد إلى ست بطون أهمها بنو ياتكين، وبنو أرلو ونصوحة، وبنو تومرت، وبنو رهطف، وبنو القاسم استوطنوا الصحراء، وظلوا ينتجعون مراعيها من سجلماسة إلى زاب إفريقيا، ويضيف عبد الرحمان بن خلدون أيضا آخرهم بنو القاسم[6]، الذين كانوا من أشد بطون عبد الواد قوة وأعظمهم عصبية[7]، ويزعم بنو القاسم

---

[1]ينظر الملحق 05: ص 71.

[2]**زناته:** قبيلة مغربية تتكون من عدة بطون متشعبة يذرها ابن خلدون بشعوب زناته لكثرة عددها ولهجتها، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن لهجتها تنتمي إلى أصول سامية، وتلتقي مع اللغة العربية في بعض خصائصها، وتتواجد أكثرية بطونها بالمغرب الأوسط. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون, المصدر السابق، ج7، ص 3ـ4.

[3]نفسه: ج7، ص- ص3ـ4.

[4]نفسه: ج13، ص 149.

[5]نفسه : ج7، ص 03.

[6]يحيى بن خلدون: **بغية الرواد في ذر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، 1980م، ص 180.

[7]عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 72.

أنهم من أولاد القاسم بن إدريس، ولم يقم يغمراسن[1] بن زيان مؤسس الدولة بتأكيد نسبه إلى القاسم بن إدريس الهاشمي، حيث رد على ذلك بقوله: " إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فنلقاها بسيوفنا"[2].

ولما أخلص بنو عبد الواد الطاعة للموحدين أقطعوهم ضواحي من المغرب الأوسط منها بلاد يلومي[3] ووامانو[4]،وبالتحديد فيما بين البطحاء وملوية وربضة صحراوة[5]. ويذكر يحيى بن خلدون رواية مفادها أن عبد المؤمن بن علي استنجد بشيخ قبيلة بني عبد الواد أبو محمد عبد الحق لرد أمواله وغنائمه التي اغتصبها بنو مرين، فلبى هذا الأخير نداءه واسترجع غنائمه، فاستحسن عبد المؤمن صنيعهم، فاقطعهم تلك الربوع جزاء مؤازرتهم له، أما بنو مرين فبعد دخول بني عبد الواد المغرب الأوسط سيطروا على تلك الصحراء فتوسعوا فيها، ومن ثم أصبح بنو مرين وبنو عبد الواد من بطون بني واسين كيانان سياسيان بعدما أعادوا مكانة زناته وأعطوها طابع الدولة ذات السلطان في الأرض[6].

---

[1] **يغمراسن:** هو فارس زناته الأشهر ومؤسس دولة بني عبد الواد(بني زيان) بتلمسان سنة 633هـ/1235م، ولد سنة 600هـ/1203م.بويع بتلمسان سنة 631ه/1233م، أي قبل قيام الدولة وتوفي سنة 681هـ/1282م ينظر: ابن أبي زرع: **الأنيس**، المصدر السابق، ص 293, وابن الأحمر: **روضة**، المصدر السابق، ص 45.

[2] خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 64.

[3] **بني يلومي:** استقروا على الضفة الغربية لوادي مينا والبطحاء وسيق وسيرات وجبل هوارة بني راشد . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون:المصدر السابق، ج7، ص 117.

[4] **بني وامانو:** ينتسبون إلى زناته، وكانت مواطنهم شرق وادي مينا بمنداس أسفل الشلف، ويقطن بعضهم قصور توات. ينظر:عبد الرحمان بن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص 204.

[5] نفسه: ج7، ص 159.

[6] يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص- ص 101 - 102.

أما الحديث عن أصول بني عبد الواد إلى الحُكم فيجمع كل من يحيى بن خلدون[1]

وعبد الرحمان بن خلدون[2] والتنسي[3]، بأن أبا سعيد شقيق مأمون سلطان الموحّدين[4] كان واليا على تلمسان فأعتقل بعض مشائخ بني عبد الواد، فقصده إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي اللمتوني[5] متشفعا فيهم، فلم يأبه له أبو سعيد ورد شفاعته، فغضب لذلك وثار ضده فاعتقله ثم بعدها أطلق سراح مشايخ بني عبد الواد، ولكنّه تمادى إلى أبعد من ذلك، إذ خلع طاعة الموحدين وطمع إلى إحياء الدولة اللمتونية، فاعتقد أن ذلك لا يتمّ إلا بالقضاء على كبار بني عبد الواد. وتحقيقا لغايته أراد التحايل على مشايخ القبيلة لقتلهم فبعث إلى جابر بن يوسف " عمّ يغمراسن " الذي كان على رأسهم حين ذاك.

لكنّ المشائخ قد بلغهم ما عزم عليه، فتوقفوا خارج البلاد يأتمرون وبلغه قدومهم، فخرج إليهم مسرعا يستقبلهم فوضع هو وأصحابه أسرى بين أيدي بني عبد الواد[6], فدخل جابر بن يوسف تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون وبعث إليه معلنا الطاعة[7]، فعهد إليه المأمون بولاية تلمسان وتسيير أمورها وما يليها من بلاد زناتة

---

[1] يحي بن خلدون:المصدر السابق،ج1، ص ــ ص 101 - 102.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص- ص 152- 153.

[3] التنسي محمد بن عبد الله: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، الجزائر 1985م، ص- ص ، 112- 113.

[4] **أبو علي إدريس المأمون بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي:** خليفة موحدي حكم من 624-630هـ/ 1227-ـ1232م. ينظر: التنسي: نفسه، ص 112.

[5] **إبراهيم بن إسماعيل بن علال الصنهاجي اللمتوني:** شيخ اللمتونيين ضمن حامية تلمسان. ينظر: التنسي : نفسه، ص 112.

[6] نفسه: ص- ص 112- 113.

[7] يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص ــ ص 106 ـ107.

سنة(627هـ/1229م)[1]، وبالتالي أصبح بنو عبد الواد سادة على تلمسان وضواحيها فكانت بذلك الخطوة الأولى نحو تأسيس دولتهم، فحارب بن يوسف توسيع نفوذه، وإخضاع جيرانه فأطاعه كثير، فقصد أهل ندرومة يطلب منهم الطاعة فأبوا، فحاصر المدينة لكنه قتل حول أسوارها بسهم، فخلفه ولده الحسن الذي تخلّى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف بعد ستة أشهر، فعُزل من قبل الرعية بعد عام ونصف لسوء حكمه، فآلت السلطة إلى أبي عزة زيدان أوزكران بن زيان بن ثابت بن محمد[2]، غير أن بني مطهر[3] رفضوا مبايعته فحاربوه بمساندة بني راشد، وانتهت الفتنة بمقتل أبي عزّة زيدان في معركة دارت رحاها خارج تلمسان سنة 633هـ، عندما تولى أمر تلمسان أخوه يغمراسن[4](بن زيان بن ثابت), وذلك سنة (633هـ/1235م)، الذي تمكن من إخضاع بني راشد وجمع كلمتهم في ظل الدولة العبد وادية التي سارع يغمراسن إلى استقلالها عن الدولة الموحدية مستبدا بالحكم دونهم متخذا تلمسان عاصمة لبلاده[5].

---

[1]عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو موسى الزياني(حياته وآثاره)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1982م، ص 19.

[2]محمد عمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص 79.

[3]هم أولاد عمومة بني عبد الواد وينتمون لمطهر بن يمل بن يزكن بن القاسم بن عبد الواد. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 150.

[4]**يغمراسن بن زيان:** هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت العبد الوادي ، ولد سنة 603هـ/1206م وبويع للملك يوم الأحد 24 ذو القعدة 633هـ/1236م. ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، دار الثقافة، بيروت 1980م، ص 132.

[5]عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص- ص 163-163.

2:المجال السياسي لدولة بني عبد الواد:

تشمل هذه الدولة رقعة من أرض كانت تعرف سابقا بالمغرب الأوسط، سميت الدولة العبد وادية، نسبة إلى بني عبد الواد إحدى بطون زناته، كما سميت أيضا الدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسس هذه الدولة[1].

وتميز هذا الإقليم باختلاف تضاريسه وتنوع مناطقه وتباين مناخه بين منطقة وأخرى تنتشر عبره العديد من المدن التي كان لها أدوار سياسية واقتصادية وثقافية أهمها تلمسان[2] عاصمة الدولة، ثم ندرومة وهنين ووجدة ووهران ومستغانم ومازونة ومليانة والمدية والجزائر ودلس وغيرها[3]. أما حدودها فإنها مرت بحالات مد وزجر طوال حياتها حيث لم تكن ثابتة ومستقرة، بل كانت تتقلص حينا وتتسع أحيانا، حسب استعداد بني زيان وقوتهم الاقتصادية والعسكرية واستقرارهم وأمنهم ووحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم وولائها الصادق[4].

فبعدما ما تمكن يغمراسن من التوسع غربا كان الحدّ الفاصل بين مملكته ودولة بني مرين واد ملوية شمالا إلى إقليم فيجيج جنوبا[5]، واستطاع الوصول بمملكته بمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه إلى ما بعد مدينة وجدة إلى تاوريت[6]، و إلى نهر ملوية ووادي

---

[1]إبراهيم بلحسن: **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7إلى القرن 9هـ/13إلى 15م**، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان 2005/2004م، ص 17.

[2]**تلمسان:** يقول ابن خلدون: واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين: تلم وسين وتقرأ (بسان)، وتجمع بين اثنين البر والبحر، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون:المصدر السابق، ج7، ص- ص 156- 157.

[3]بوزيان الدراجي: **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993م، ص 37.

[4]عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 43.

[5]نفسه: ص 23.

[6]**تاوريت:** مدينة تقع غرب وجدة ب 136 كلم، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 227.

(صا) أو (زا)[1]، وإقليم فيجيج في النّاحية الشرقية، فقد شهدت البلاد تطورا ملحوظا منذ اعتلاء السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن عرش المملكة، فتطبيقا لوصية يغمراسن[2] ركّز أغلب حلفائه اهتمامهم نحو توسيع إقليم دولتهم على حساب الحفصيين ولا سيما في عهد كل من عثمان بن يغمراسن وأبي محمد وأبي حمو الأول، وابنه أبي تاشفين الأول، فقد استطاعت الجيوش في عهد هذين العاهلين الأخيرين الوصول إلى بجاية وقسنطينة وعنابة من أراضي الحفصيين، حيث حاصرتها عدة مرات إلى أن بلغتا عاصمتهم تونس,[3] وفي عهد أبي تاشفين الأول (718ـ737هـ/1318ـ137م)، لكنها تزاحفت إلى أطراف بجاية وبلاد الزاب وهو أقصى اتساع لها في المنطقة الشرقية[4]، كما امتدت حدودها من البحر المتوسط شمالا إلى غاية الصحراء الكبرى[5]، والتي تفصل المغرب الإسلامي عن إفريقيا السوداء[6]، وجنوبا تلك هي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان طوال وجودها على الرغم من تعدد الهجمات والغزوات عليها من قبل المرينيين والحفصيين[7].

---

[1]الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983م، ص 07.

[2]ذكر ابن خلدون أن يغمراسن أوصى ولده قائلا:" يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم، ولا يمكنني القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها فإياك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ متى دلفوا إليك وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وملكهم، يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك ". فعلقت وصية الشيخ بقلبه. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص- ص 189- 190.

[3]التنسي: المصدر السابق، ج1، ص 137.

[4]يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 218.

[5]الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 07.

[6]القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963م، ص149.

[7]عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 45.

المبحث الثالث: الدولة المرينية.[1]

1: أصل ونسب المرينيين:

يعود نسب بني مرين إلى بطون زناته، وهم ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن حديج بن فاتن بن بدر بن يجفت بن يصليتن بن عبد الله بن ورتسيب بن المعز بن إبراهيم بن شجيج بن واسين، ابن رجيج بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

وقد قيل أنهم شرفاء ورفع البعض لتاريخ نسبهم الشريف من جدهم الأمير عبد الحق[3] إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي ذلك يقول الفقيه الأديب مالك بن الموحل يمدح أمير المسلمين يوسف يعقوب بن عبد الحق:

أنتم لأبناء عبد الحق كلكم فخرهم للورا فخرا إذا افتخروا
فحسبكم شرفا إن كان جدكم بر بن قيس وقيس جد مضر[4]

وبنو مرين وبنو عبد الواد أبناء عمومة، فهؤلاء قبائل من زناته كما ذكر آنفا وكلهم عرب الأصيل من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار[5]. وقد فرضت عليهم حياة البداوة حالة من الاستقرار فكانوا عبارة على عشائر بدوية متنقلة في صحاري المغرب الأوسط، فكانت بيوتهم ومنازلهم بزاب إفريقيا إلى سجلماسة[6]، وقد

---

[1] ينظر الملحق رقم (6): ص 75

[2] ابن أبي زرع الفاسي: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 14.

[3] **الأمير عبد الحق:** هو عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن زيان بن محمد بن تاشفين أحد أمراء بني مرين (592ـ614هـ/1196ـ1217م) ينظر: إسماعيل بن الأحمر: روضة **النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ص08.

[4] ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 14.

[5] نفسه: ص 15.

[6] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 162.

كانوا يرحلون في فصل الربيع على شمال المغرب الأقصى قصد البحث عن الكلأ، فيقضون شهورا نازلين بين فجيج وملوية، كما دفعتهم الحملات الهلالية خلال القرن (5هـ/11م) إلى صحراء المغرب الأوسط ليستقروا في منطقة بين مصاب وجبل راشد، وبالتالي فلم تكن مواطنهم ثابتة لنمط حياتهم البدوية والرعوية القائمة على الترحال بحثا عن موارد المياه والكلأ[1].

2: تأسيس وقيام دولة بني مرين.

إن الحديث عن الفراغ السياسي والعسكري وسوء أحوال الدولة الموحدية بعد هزيمة معركة العقاب التي وقعت بالأندلس سنة (609هـ/1212م) وما ترتب عنها من الأحداث القاسية والخلل في جميع الأحوال الإدارية، نستطيع القول أنها من الأسباب القوية لدخول بني مرين المغرب الأقصى[2]،وذلك سنة610هـ، بقيادة أميرهم آنذاك عبد الحق بن محيو حيث وجدوا الأرض التي اعتادوا ارتيادها خالية من السكان وأغنامهم ووفرة المياه فيها، فاستطاعوا العيش فيها بصفة دائمة ومن هناك بدأوا يشنون الغارات على أهالي المغرب[3]، ووصفهم صاحب كتاب الذخيرة كالجراد، حيث انتشرت قبائلهم في البلاد كالجراد، وامتلأت حللهم وعساكرهم والنجود والوهاد، فلم يزالوا ينتقلون في أقطاره مرحلة بعد مرحلة حتى أبادوا الجيش عام المشعلة عام 613هـ[4]، وأخذوا في تلك السنة يوسعون رقعة نفوذهم في المغرب الأقصى، وقد ساعدهم في ذلك أن الخليفة الموحدي

[1]أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د س ط، ص 205.

[2]عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص-ص 200-201.

[3]محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني: **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، الدار البيضاء، دس ط، ص 156.

[4]ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 27.

الذي تولى أمر الموحدين بعد الناصر, وهو ابنه المستنصر يوسف وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم، شغلته أحوال الصبا وجنونه عن تدبير أمر دولته[1].

ومن الأسباب الأخرى أيضا والأكثر خطورة الوباء العظيم الذي أهلك الناس حتى خلت البلاد من أهلها[2]، ولما استفحل شأن المرينيين في المغرب الأقصى وقتلوا كل الخارجين الذين لم يظعنوا، أدرك ذلك الخبر إلى المستنصر، وأصبح أمرهم يهدد كيان الدولة الموحدية في تلك المنطقة[3]، فجرّد الخليفة الموحدي يوسف المستنصر لهم جيشا قوامه 20 ألفا بقيادة أبي علي بن وانودين[4]، وبمشاركة صاحب فاس الموحدي أبا إبراهيم بن يوسف بن المؤمن، وأعطى هؤلاء أوامر صارمة بضرورة استئصال شأن المرينيين، وكان بنو مرين حينها في جهات الريف وبلاد بطوية، فتركوا أثقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف والتقى الجمعان بوادي نكور[5]، فهُزم الموحدون ورجعوا إلى فاس عرايا يغطون عوراتهم بورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة، وقد شكلت هذه المعركة مقدمة نحو استيلاء المرينيين على رباط تازا[6]، وذلك من خلال هزيمة حاميتها المكونة من العنصر الموحدي، وقبائل تسول ومكناسة[7]، وقد شكل هذا الصدام الأول مع الموحدين بداية دخول بني مرين تاريخ بلاد المغرب بشكل عام، والمغرب الأقصى على وجه الخصوص.

---

[1] محمد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610 – 86هـ/1213– 1265م)**, دار القلم، الكويت ،1987 ، ص 11.

[2] الناصري: المصدر السابق، ج3، ص– ص 4– 5.

[3] محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 11.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 27.

[5] الناصري: المصدر السابق، ج3، ص– ص 5– 6.

[6] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص 202.

[7] الناصري: المصدر السابق، ج3، ص 06.

شعر الخليفة الموحدي يوسف المستنصر بخطورة الموقف الأمر الذي دعاه إلى لفت نظر القبائل العربية إلى خطورة هذا الظهور السياسي للمرينيين على ساحة المغرب الأقصى ومعتبرا ذلك تهديدا لوجودهم، واستجاش بتلك القبائل ضد بني مرين وخاصة قبائل رياح العربية[1]، كما عمل على استغلال وتغذية الخلافات بين المرينيين أنفسهم، حيث أثار انتصار بنو مرين على أعدائهم الموحدين بني عسكر بن محمد، فضاقت صدورهم من استقبال بني عمهم حمامة بالرياسة دونهم[2]، فاستغل الموحدون هذه الثغرة واستدرجوا بني عسكر بالانضمام على صفوفهم، وبذلك اكتمل الحلف المعادي للمرينيين والمكون من الموحدين وبني رياح[3]، وبني عسكر، وعندما علم المرينيون بهذا الحلف نهض أميرهم عبد الحق محيو بجموع بني مرين والتقى الجمعان مرة أخرى على ضفاف واد سبو، فتمخض عن هزيمة المرنيين أمام جموع الموحدين وحلفائهم، ومقتل الأمير عبد الحق وولده إدريس في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة (614هـ/1217م)[4].

وما إن حلت سنة (616هـ/1219م), حتى تفاقمت الأزمة السياسية والأمنية في المغرب، ففي الوقت الذي صعد فيه المرينيون بقوة على مسرح الأحداث في المغرب الأقصى ازدادت الفتن بين القبائل وتمردت وأشاعت الخوف بين الناس[5]، وفي هذه الأثناء استغل الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق حالة الفوضى والانفلات الأمني والقبلي السائدة وضعف السلطة المركزية في المغرب الأقصى من أجل فرض سيطرته على أجزائه، فتوجه الأمير المريني على رأس قوة مقاتلة من القرى والمدن

[1] الناصري:المصدر السابق, ج3، ص 06.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 33.

[3] **بني رياح:** كانوا في ذلك الزمان أكثر القبائل العربية قوة وشجاعة وأكثر جمالا وخيلا ورجالا.ينظر:ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص 33.

[4] محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 12.

[5] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 36.

والبوادي التي أطاعته, ومنهم من أمَّنهم، وفرض عليهم قدرا معلوما من الخراج، ومن أبى قاتله، فبايعه كل من قبائل هوارة وتاسول ومكناسة وبطون فشالة، ثم صدراتة وبهلولة ومديونة، وتازا وقصر كتامة[1]، وألزمهم بمقدار من المال يؤدونه كل سنة مقابل كفٍّ الغارات عنهم، ومقابل اعترافهم بنفوذه السياسي[2]، ونتيجة لهذا النجاح السياسي والعسكري الذي حققه المرينيون في مواجهة الخليفة الموحدي الرشيد[3]، فقد سيطر على سهول شمال مراكش ووادي سبو، ولم تكد تنتهي سنة(625هـ/1218م) حتى كانت جميع قبائل وبوادي المغرب قد خضعت لقبيلة بني مرين، من واد ملية إلى رباط الفتح[4] [5].

واستطاع بذلك أبو سعيد عثمان وضع كيان سياسي لبني مرين يفرض إقامة دولة فعلية تمثلهم، فاعتبر بذلك أبو سعيد عثمان المؤسس الحقيقي لملك بني مرين الذي أرعب البلاد الموحدية، فدفعه إلى تغيير سياسة أسلوبه من المواجهة العسكرية إلى سياسة الاسترضاء والتقرب من بني مرين عن طريق مهاداتهم ومهادنتهم وذلك سنة 637هـ/1239م[6]، وفي نفس السنة اغتيل أبو سعيد عثمان فخلفه أخوه محمد بن عبد

---

[1] **كتامة:** مدينة تقع غربي مكناسة بثلاث مراحل، وتسمى قصر عبد الكريم أيضا. ينظر: ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص 193.

[2] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص- ص 170- 172.

[3] **الخليفة الرشيد الموحدي:** هو أبو محمد عبد الرشيد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف العسكري بن عبد المؤمن بن علي، بويع في بداية شهر محرم سنة 630هـ/أكتوبر 1232م، وقتل أواخر صفر سنة 646هـ/1248م.ينظر: يحيى بن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص 205.وأيضا عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3, ق2, ص 227وما بعدها.

[4] **رباط الفتح:** مدينة كبيرة أسسها يوسف بن تاشفين453-500هـ/1061-1106م. ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 201.

[5] ابن أبي زرع: **الذخيرة**، المصدر السابق، ص 37.

[6] ابن أبي زرع: **الأنيس**, المصدر السابق, ص 69.

الحق[1] (637 ــ 642هـ/1232 ــ 1244م)، الذي سار على سياسة سلفه في التمكين لقومه من مواصلة الجهود السياسية والعسكرية لإقامة كيان لهم يفرض هيبتهم ووجودهم، وذلك بتمهيد مناطق المغرب الشمالية والاستيلاء عليها وإخضاع قبائلها وفرض الضرائب عليها[2]، فكانت هذه السياسة كفيلة لتحقيق المزيد من المكاسب لبني مرين، وإضعاف الموحدين للتحالف مع خصومهم من المنشقين عنهم، فاستقبل عبد الحق جرمون بن رياح وقومه المنشقين عن الخليفة الموحدي الرشيد، فأكرمهم وأنزلهم أحسن منزل[3]، وبذلك جعل بنو مرين أرضهم ملجأ لكل منشق عن الموحدين والراغبين في الانضمام إليهم كأسلوب ضغط وإضعاف للموحدين، وبذلك استطاعوا أن يشرعوا في التأسيس الفعلي لدولتهم[4].

3: المجال السياسي للدولة المرينية:

لقد وصلت حدود الدولة المرينية في أيام عزها إلى معاقل الصحراء، وقصور توات، وتيكورارين وتنمطيت، هذا من ناحية الجنوب[5]، كما امتدت في فترات إلى خارج المغرب الأقصى، فامتلك يعقوب الأندلسي ثلاث وخمسين بناية ما بين مدن وحصون، زيادة على القرى والبروج التي تزيد على الثلاث مائة[6]، وكان الحد بينه وبين المملكة النصرانية هو حصن ذكوان بمقربة من مالقة، كما أن يوسف بن يعقوب بسط نفوذه على نواح كثيرة من المغرب الأوسط[7]، وفي بعض أيام أبي الحسن بن تود الذي دخل المغرب

---

[1] **محمد بن عبد الحق:** وهو محمد بن محيو بن أبي بكر بن حمامة شقيق عثمان، يكنى أبا معرف، بويع بعد مقتل أخيه عثمان بوادي ردات في أول محرم من عام 638 ــ 646هـ/ 1232ــ 1244م، قتل في المعترك، كانت إمارته أربع سنوات وستة أشهر. ينظر: ابن الأحمر: **روضة،** المصدر السابق، ص 16.وأيضا ابن أبي زرع: **الذخيرة،** المصدر السابق، ص 59.

[2] نفسه: ص 60.

[3] محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 16.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 28.

[5] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 244.

[6] ابن أبي زرع: نفسه، ص 98.

[7] ابن أبي زرع: **الأنيس** ، المصدر السابق، ص 284.

الإسلامي تحت قيادته من السوس الأقصى إلى مصراتة قرب الحدود النصرانية، وزيادة على انفتاح هذه المملكة إلى (رندة) الأندلس[1]، وفي أيام أبي عنان برقت بارقة لاستعادة وحدة المغرب الإسلامي ثم سرعان ما خبت[2]. أما الفترة الواقعة بعد عهد أبي عنان إلى نهاية الدولة، فلم يحدث فيها امتداد منظم نحو شرق المغرب، ولا يستثنى من هذا سوى غارات عابرة ارتجلها ملوك وحكام مرينيون[3].

وقد امتدت الدولة المرينية حتى أيام أبي الحسن، ثم أخذت في التراجع تأثرا بعدة عوامل منها الضعف الذي نزل بالجيش المريني بعد موقعة طريف[4] والقيروان حيث انقطع العبور المريني إلى الأندلس وفشلت محاولة استعادة الإمبراطورية الموحدية في شمال إفريقيا[5].

[1] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص270.

[2] نفسه: ج7، ص- ص 298-296.

[3] نفسه: ج7، ص- ص 302- 303.

[4] **موقعة طريف:** هي موقعة روسيلا التي يقول عنها ابن الخطيب في الإحاطة: " ...فهذه الواقعة بين الواهي المعضلة الداء والإرذاء التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب، وقرت لها عيون الأعداء". ينظر: ابن عماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ج6، ص 128.

[5] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص- ص 173 - 176.

خلاصة الفصل الأول:

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول أن حادثة أو موقعة حصن العقاب التي وقعت في الأندلس سنة (1609هـ/1227م)، إذ تعتبر بمثابة النهاية الحقيقية للحكم الموحدي بالمغرب الإسلامي، وبروز ثلاث دويلات جديدة حيث برز الحفصيون، وهم فرع من هنتاتة حيث جعلوا دولتهم في الجزء الشرقي للدولة، وكانت عاصمتهم تونس (625هـ/1227م)، أسسها أبوحفص زعيم قبيلتهم، ومن السابقين الى اعتناق تعاليم ابن تومرت، وكان بنو حفص من المثليين الحقيقيون للتقاليد التي سارت عليها دولة الموحدين.

كما تمكن بنو عبد الواد من تأسيس دولتهم سنة (633هـ/1235مـ)، وجعلوا عاصمتهم تلمسان واستطاع المرينيون الذين تم على أيديهم القضاء على ما تبقى من نفوذ الموحدين نهائيا سنة (688ه/1259مـ).

وأسسوا دولتهم كانت عاصمتها فاس، وهي أقوى الدول الثلاث اتسعت رقعتها اتساعا كبيرا في عهد أميرها أبي الحسن، الذي تولى عرش فاس والمغرب الأقصى سنة (731هـ/1230م).

الـــفـــصـــل الثـــاني: الصراع الزياني مع دويلات الجوار(المرينية،الحفصية).

المبحث الأول :الصراع الزياني المريني.

المبحث الثاني :الصراع الزياني الحفصي.

المبحث الأول: الصراع الزياني المريني.

1: نشأة الصراع وبدايته بين الطرفين:

تعود أسباب ونشأة الخلاف بين بني مرين وبني عبد الواد إلى التنافس القائم بينهما من قديم، وذلك حول بسط النفوذ على أكبر مساحة من المغرب باعتبار أحقية كل واحد منهما في ورثة الموحدين، إضافة إلى ذلك الجوار في الملك والمنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة[1]، حيث أن هذه المنافسة ما لبثت إلى أن تحولت إلى صراع سياسي وعسكري بين الطرفين دام مدة طويلة شحنته الضغائن وطلب السيادة وبسط النفوذ، إذ لم تكن دولة بني مرين الناشئة لترضى بمجاورة بني عبد الواد المنافسين لها، وذلك بعدما تيقنت من هذه المكانة الرفيعة التي يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة والحرب، فنشأ عن ذلك حقد وعداوة كان مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة، والسلطان المطلق على المغرب الأوسط[2].

ويعود تاريخ هذا التنافس إلى ما بعد هزيمة الموحدين بضواحي تلمسان عندما استولى الأمير أبو بكر المريني على مدينة فاس، فتوجه في ربيع الأول سنة 647هـ إلى فزاز[3]، لتأكيد سلطان بني مرين فيها وجباية المغارم من القبائل، وكان قد استخلف وراءه على فاس مولاه السعود بن خرباش الجشمي من أحلاف بني مرين، وكان الأمير أبو بكر عند فتحه فاس قد استبقى من كان فيها من الجند الرومي من المرتزقة الذين كانوا في خدمة الموحدين[4]، فانتهز الموحدون وأنصارهم من الصنهاجيين بالتحالف مع الجند الرومي فرصة خروج الأمير من فاس وانقضوا على واليه عليها فقتلوه، وأعلنوا عودة

---

[1] مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، تق, تص: محمد الميلي، م وك، الجزائر 1986م، ص 422.

[2] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 100.

[3] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص- ص 148- 154.

[4] حسين مؤنس: **تاريخ المغرب وحضارته**،مج2، ط1، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992م، ص 18.

المدينة إلى طاعة الموحدين، وكتبوا بذلك إلى الخليفة الموحدي أبي حفص المرتضى بن السيد أبي إبراهيم بن أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي.

فلما علم الأمير أبو بكر الذي كان محاصرا لفزاز بالأمر، فك عنها الحصار وعاد مسرعا إلى فاس لتدارك أمرها، فأطبق عليها الحصار وقطع عنها الماء والغذاء ومنع الداخل والخارج، فطلب أهل فاس النجدة من الخليفة الموحدي المرتضى غير أن هذا الأخير عجز عن إرسال جيش لتأييد أنصاره، لكنه إذ كان قد عجز عن العون العسكري فإنه لم يعجز عن التدبير والتآمر، فأرسل إلى يغمراسن بن زيان يستنجد به على الأمير أبي بكر، ويغريه بالاستيلاء على ما يستطيع الاستيلاء عليه من النواحي التي استولى عليها بنو مرين، فأجاب يغمراسن الدعوة وخرج من تلمسان لعرقلة جهود أبي بكر في فاس، والتقى الجمعان بوادي ايسلي (647هـ/1249م) من أحواز وجدة [1]، ودارت بينهما معارك كبيرة انتهت بهزيمة السلطان يغمراسن.

لقد كانت العلاقات بين الطرفين ذات طابع عدائي, وفي كثيرا من الأحيان إلى حد الاقتتال, حيث نشبت بينهما معركة أخرى قرب وادي تلاغ 666هـ، فترك الخليفة المريني حصار مراكش واتجه إلى العاصمة فاس والتقى الجمعان مرة أخرى بالوادي المذكور، ودارت بينهما معركة كبيرة حيث هلك فيها عمر بن يغمراسن الذي كان أكبر أولاده وولي عهده[2]، فخضع يغمراسن إلى بني مرين وكان حاقدا عليهم، أما أبو يعقوب عبد الحق فقد صمم على القضاء على من بقي من دولة الموحدين في مراكش ثم اتجه بعدها إلى القضاء على آل بني عبد الواد لضم تلمسان إلى ملكهم، ولكنه وفد إليه وفد من بني الأحمر يستصرخونه أن أمر الإسلام أصبح في خطر. فمال ومن معه إلى الاستجابة إلى نداء الجهاد وانتهز الفرصة ليصالح يغمراسن بن زيان ليؤمن جانبه، فأرسل

[1] **وجدة:** هي مدينة قديمة على بعدة 80 كلم غربي تلمسان كانت تابعة لمملكة بني عبد الواد على الحدود الجزائرية المغربية. ينظر: التنسي: المصدر السابق، ص 285.

[2] خالد بلعربي: المرجع السابق، ص- ص 110- 111.

إليه وفدا ليبلغه بالجهاد في الأندلس، ولكن يغمراسن رفض وقال أنه لن يصالح المرينيين أبدا بعدما قتلوا ولده أبا حفص عمر[1].

وهذا التصرف يمثل قصورا في الوعي السياسي وعدم فهم لحركة الجهاد الإسلامي الذي ينوي أبو بكر بن عبد الحق القيام به، ذلك لأن دولة بني الأحمر كانت تمثل آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس، ولما بلغ الخبر السلطان المريني حشد قوات جرارة, بعدما أحس بالإهانة وجرح الكبرياء، فخرج لقتال يغمراسن، والتقى الجيشان مرة أخرى في وادي ايسلي قرب مدينة وجدة وكانت الغلبة مرة أخرى ليعقوب بن عبد الحق على يغمراسن، وأمام هذه الهزائم التي لحقت بيغمراسن من قبل المرينيين، حتى أنه أوصى ابنه وولي عهده أبا سعيد عثمان بعدم التعرض لبني مرين وإبرام المعاهدات السلمية معهم[2]، وطال الحصار الذي فرضه يعقوب بن عبد الحق على تلمسان دون أن ينال منها، فقرر رفع الحصار فعادت إلى يغمراسن[3].

2:مظاهر الصراع بين الطرفين:

من خلال وصية يغمراسن علم أبو سعيد عثمان أن المرينيين أصبحوا يفوقونهم عدة وعتادا، وأن جيشه لا يستطيع مجابهتهم في الحرب، وأن قتال أبيه لهم كان نتيجة ظروف محتمة، فلا مجال لقتالهم، حيث أنه إذا هاجموه يلتجأ إلى الحصون، وبالمقابل أراد تقوية جهازه الاقتصادي والبشري ببسط نفوذه شرقا على حساب الحفصيين، وبالتالي عمل على تجهيز جيشه وتدعيمه حتى يستطيع في ما بعد مقابلة المرينيين بجيوش تعادل

[1]ابن الأحمر : المصدر السابق، ص 19.

[2]خالد بلعربي: المرجع السابق، ص- ص 114- 115.

[3]ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 24.

جيوشهم، كما قام باتخاذ مخازن لذخيرته وعتاد جيشه في الثغور الشرقية البعيدة عن العدو المريني[1].

ومهما كانت درجة أصالة هذه الوصية الرسمية، فإنها وجهت سياسة حلفاء يغمراسن لمدة ثمانين سنة، والتي تمثلت في موقفهم من الدفاع بشكل أساسي من ناحية الغرب وفي رغبتهم في التوسع شرقا[2]، وبالفعل استطاع عثمان في بداية عهده أن يهادن بني مرين إذ أوفد أخاه محمد بن يغمراسن على يعقوب بن عبد الحق الذي كان مرابطا في الأندلس لكي يصالحه، حيث أنه تمّ الصلح بينهما[3]، وبالمقابل توجه لتأديب الإمارات الشرقية المحالفة للحفصيين " بني توجين، ومغوارة " فوصل إلى بجاية وقام بمحاصرتها لكنها امتنعت عليه[4].

مرض يعقوب بن عبد الحق بالجزيرة الخضراء, ووافته المنية سنة (687هـ/1286م)، فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف، وقد كان له ابن يسمى أبا عامر كان قد ولاه على مراكش، فثار على أبيه، وظاهره في ذلك وزير له يسمى ابن عطو، فسار إليه أبوه وهزمه فأنتهب الأمير ووزيره مال مراكش وفرا باتجاه تلمسان سنة 1289م، فما كان من أبي سعيد عثمان إلا أن أكرمهما وأجار أبا عامر على أبيه[5]، ثم عفا السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عن ابنه وعاد إلى فاس[6]، كما طلب من أبي سعيد عثمان أن يسلمه

---

[1]محمد مكيوي: **الأوضاع السياسية والثقافية لدولة بني عبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية أبي تاشفين الأول (633هـ/1236م)(737هـ/1337م)**، رسالة ماجستير، تلمسان (2001/2000م)، ص- ص 78- 79.

[2]دهينة عطاء الله وآخرون: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص 370.

[3]حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 131.

[4]عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج، ص - ص 190- 192.

[5]محمد عمر الطمار: المرجع السابق، ص 98.

[6]التنسي: المصدر السابق، ص 131.

الوزير ابن عطو فرفض فأثار ذلك حفيظة أبي يعقوب[1]، فقرر الاستيلاء على تلمسان، فسار إليها حتى بلغها وقام بحصارها غير أن عثمان تحصن بأسوارها، إلا أن أبا يعقوب تمكن منها بعدما نصب عليها المجانيق، وقطع أشجارها وخرب ما حولها من القرى والزرع.

ويقول ابن خلدون في هذا الصدد:" إنه بلغ من صميم السلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق على الاستيلاء على تلمسان أنه أدار عليها سورين بينهما فيصل، وشدد في الحصار حتى لم يخطر إليها الطير لا بل الطيف وابتنى مدينة كاملة إلى جوارها، وأقام عليها الحصار مائة شهر، وعندما دخلت سنة (702هـ/1302م)، اختط إلى جانب ذلك الصور بمكان فسطاطه وقبابه قصر السكان واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليها سورا يحزمها، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة واتخذوا البساتين وأجروا المياه وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والقصور، حيث بنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رفيعا وجعل على رأسه مفافيح من ذهب سير عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله، فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها، ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة "[2].

ومضى يشن الغارات حول البلاد حتى أضربها فاستحوذ على المدن التابعة لتلمسان[3]، فأصبحت تلمسان تعاني الأمرين الخوف والجوع بعد تشديد الحصار عليها لكن ورغم كل الأساليب التي استعملها المرينيون لتضييق الخناق على مدينة تلمسان وإخضاعها إلا أن أهلها صمدوا[4]، وباستماتتهم في الدفاع عن وجودهم قد أحبط كل تلك

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 278.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 256.

[3] نفسه: ج7، ص 257.

[4] نفسه: ج7، ص ــ ص256 ــ257.

المحاولات وحالت دون سقوط المدينة، ولم يستسلم السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن، وبهلاك السلطان أبو سعيد عثمان بعد خمس سنوات من الحصار حتى قيل أنه شرب شرابا مسموما[1]، فخلفه ابنه محمد بن عثمان الذي دام حكمه أربع سنوات (703-707هـ) (1334-1338م)[2]، والذي أبلى بلاء حسنا في الدفاع عن عاصمته، بينما تأسف أبو يعقوب يوسف بموت عثمان وعجب من صرامة قومه.

وقد استمر الحصار إلى أن هلك أبو يعقوب يوسف عام (706هـ/1337م)، فكان موته إنقاذا لبني زيان بعد أن دام الحصار ثمانية أعوام وأربعة أشهر، فقد كان حصارا لا يضاهيه حصار في التاريخ الإسلامي[3]، أضطر فيه أهل تلمسان بعد أن نالهم الجوع إلى أكل الكلاب والقطط إذ يقول صاحب الاستقصاء أن أهل تلمسان قبل رفع الحصار نالهم فيها العناء والشدة ما لم تتلهم أمة من الأمم حيث اضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران حتى أنهم أكلوا أشلاء الموت من الناس وخربوا السقوف للوقود وظلت أسعار الأقوات والحبوب تجاوز العادة[4].

ومن المظاهر الأخرى التي زادت في حدة الحصار حينما أخلى بنو عامر[5] وعرب السويد[6] حيث كانوا يمثلون قوته العسكرية[7].

---

[1] التنسي: المصدر السابق، ص 178.

[2] نفسه، ص 178.

[3] حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 133.

[4] السلاوي: المصدر السابق، ج9، ص – ص 56 – 57.

[5] **بنو عامر**: أسكنهم يغمراسن بنواحي تلمسان ووهران، وقربهم إليه وكان لهم أثر حسن على دولته، بحيث ساندوه في التصدي للهجمات التي شنها بنو حفص وبنو مرين على تلمسان. ينظر: خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 90.

[6] **عرب سويد**: كانت لهذه القبيلة علاقة حسنة مع ملوك بني عبد الواد في بداية الأمر فاقطعوها أراضي البطحاء ومنحوها الضرائب إلا أن هذه العلاقة تغيرت بسبب الموقف المتصلب ليغمراسن ضد زعمائها. ينظر: خالد بلعربي: المرجع نفسه: ص 94.

[7] ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 30.

ثم اكتسح السلطان المريني أبو سعيد دولة بني عبد الواد واحتلها سنة 1337م[1]، ومات في الدفاع عن قصر تلمسان عثمان ومسعود ولد أبي تاشفين ثم قتل هو كذلك، وظلت تلمسان تحت سلطة بني مرين 25 سنة، فلم ينتهي احتلالهم لها حتى سنة 1359م، خلال هذه الفترة وصل السلطان أبو الحسن المريني بتلمسان إلى ذروة غناها، فأحيى مدينة المنصورة التي كان جده قد بناها[2]، واتصل ملكه ما بين برقة إلى السوس الأقصى والمحيط الأطلسي[3]،وصار المغربان الأوسط والأدنى تحت لوائه، وعندما كان يستكمل ما تبقى من مشروعه، وهو الاستيلاء على إفريقية في شهر صفر سنة (748هـ/1347م)، حيث غادر تلمسان وترك ابنه أبا عنان نائبا له، فكسح أمامه الزاب[4]، وتوجه نحو إفريقية[5].

وكذلك ليواصل طريقه نحو بجاية وقسنطينة ثم القيروان عاصمة بني حفص حيث وصلها صائما في شهر جمادى الأولى سنة (748هـ/1347م)، وكان معه جيش من بني زيان بقيادة الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت ابنا يغمراسن، ويذكر أن أبو الحسن شديد الحرص على زيارة أضرحة الأولياء في مختلف المدن[6]، كفزاز والقيروان والمهدية[7]، لجلب ود الناس وعطفهم خاصة الفقهاء منهم ورجال الدين.

---

[1]ابن الأحمر: المصدر السابق, ص 30.

[2]محمد عمرو الطمار: المرجع السابق، ص 220.

[3]ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 30.

[4]**الزاب:** منطقة سهلية واقعة بين جبال أولاد نايل غربا وجبال الأوراس شرقا، مدنها بسكرة وطولقة. ينظر: التنسي: المصدر السابق، ص 230.

[5]عبد العزيز السالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، د، ت، ص 788.

[6]عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص – ص 47- 48.

[7]**المهدية :** مدينة في ساحل إفريقية أمر ببنائها أبو عبيد الله الشيعي بموضع يسمى جمة وتبعد عن القيروان بستين ميلا يحيط بها البحر من ثلاث جهات. ينظر: الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1974م، ص 562.

ومن هذا نستطيع الاستنتاج أنه كان لهم في التأثير على الحاكم والمحكوم، وفي الوقت الذي كان فيه أبو الحسن يستقبل كلا من سفيري قشتالة والمالي اللذين جاءا لتهنئته على هذه الانتصارات التي استطاع تحقيقها في نفس الوقت كان هناك أعداء من العرب يكيدون له انقلابا والذي بدأه الأميران أبو ثابت وأبو سعيد إذ كانت هزيمة الجيش المريني ثقيلة، وأشيع مقتل السلطان، هذا الأمر الذي دفع بأبي عنان مغادرة مدينة تلمسان متجها صوب مدينة فاس، في هذه الأجواء المضطربة كان قد اجتمع بنو زيان الذين كانوا مصاحبين لأبي الحسن بإفريقية وبايعوا أبا سعيد بن عبد الرحمان أميرا عليهم، ثم عملوا على كسب تأييد كل من مغوارة[1] وتوجين وتحالفهما، وتناسوا بذلك جميع خلافتهما القبلية، وتوجهوا جميعا نحو المغرب الأوسط بعد وصول الجيش المريني إلى القيروان[2].

في هذه الأثناء استعد بنو زيان بقيادة زعيمهم، ودخلوا تلمسان في شهر رجب فثارت العامة بعثمان بن جرار عامل بني مرين فاستأمن لنفسه من السلطان فأمّنه، ودخل عثمان أبو سعيد إلى قصر آبائه في آخر جمادى الآخرة سنة 749هـ[3]، وقام بتعيين آخيه أبي ثابت مسؤولا على أمور العسكر وشؤون الحرب، ثم بدأ يقاوم الخصوم والمتمردين، وأعاد السيطرة للزيانيين، وكان أبو عنان ابن أبي الحسن المريني صاحب أطماع مثل أبيه في إقليم تلمسان، فشرع لغزوها واحتلالها، ولكن الأمير أبا سعيد استعد للأمر وتهيأ، وسابق الأحداث بخروجه بجيش إلى وجدة لملاقاة جيش بني مرين على تراب المغرب، وخاض الطرفان معركة بواد القصر الكبير في جوان 1353م، وكان الانتصار فيها للجيش المريني الذي استطاع أسر أمير تلمسان وإنهاء حياته، ودخلوا تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، وعندما عجز أبو ثابت على مواجهة المرينيين فرَّ إلى الوراء جهة الشرق بصحبة عدد من أفراد بني زيان إلا أنهم وقعوا أسرى في أيدي بني مرين الذين ساقوهم

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 48.

[2] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 49.

[3] محمد بن عمر الطمار: المرجع السابق، ص 138.

إلى بجاية وسلموهم إلى الأمير المريني أبي عنان[1]، الذي نفذ القتل في حق أبي ثابت على غرار أخيه، وبهذه الواقعة اندثرت دولة بني عبد الواد ورجعت السلطة لبني مرين[2].

وعندها انطلق أبو عنان بن أبي الحسن المريني للاستيلاء على تلمسان، ولكن ملك بني مرين لم يدم كثيرا، فقط ثار أهلها ضده وانقلبوا على طاعته[3]، إلى أن تمكنوا من إفشال مشروعه الذي تمثل في توحيد بلاد المغرب، فسقطت بذلك هيبة بني مرين[4]، وتمكن أبو حمو موسى الثاني[5] من طرد بني مرين عام 1359م، وأعاد ترميم الدولة وسماها الدولة الزيانية[6]، وأعطى أولى اهتماماته بتدعيم سلطته، فاحتل وهران عام 1361م، والجزائر وبلاد القبائل[7]، وانفرد عهده بالنشاط العسكري المكثف الذي دام أكثر من ثلاثين سنة قضاها في البناء والتعمير ومواجهة الأعداء والتصدي لهم للحفاظ على وحدة تراب المغرب الأوسط، لكنه اضطر خلال فترة حكمه أن يخرج من البلاد رفقة أهله متجها نحو الصحراء نتيجة المد المريني المتواصل على المنطقة[8].

---

[1] يحي بوعزيز: **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد**، مجلة الأصالة، العدد 26، السنة 1335هـ/1975م، ص- ص 18-19.

[2] نفسه: ص 19.

[3] محمد بن عمر الطمار: المرجع السابق، ص 138.

[4] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 53.

[5] **أبو حمو موسى:** هو موسى الثاني بن يوسف أبي بعقوب بن عبد الرحمان بن يحيى بنن يغمراسن بن زيان، مجدد الدولة العبد الوادية، ولد في غرناطة 723هـ/1323م، صاحب كتاب " **واسطة السلوك في سياسة الملوك**"، قتل في معركة قرب موضع يقال له" الغيروان" يوم الثلاثاء ذي الحجة من سنة 791هـ/1389م. ينظر:خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج7، دار العلم للملايين، ط:15، بيروت، 2002م، ص 332.

[6] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 55.

[7] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص – ص 18- 19.

[8] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 59.

3: تواصل الصراع بين بني مرين وملوك بني زيان.

لقد كان لمقتل أبي حمو الثاني انعكاسا كبيرا في تاريخ الدولة الزيانية بحيث تأكدت تبعيتهم لملوك بني مرين، إذ أصبح أبو تاشفين الثاني يخضع مباشرة لنفوذهم باعتبارهم أصحاب فوزه ونعمته في الوصول إلى الحكم الزياني، بعدما تمكن من إبعاد معارضيه من أسرته، وفي عهده أصبحت كل مساجد تلمسان تخطب لسلاطين بني مرين، كما أنه أصبح يقدم كل سنة مقدرا من المال للبيت المريني[1]، إلا أن البيت الزياني لم تعجبه هذه الهيمنة والتبعية للمرينيين، فثار أخوه أبو زيان بن أبي حمو حاكم مدينة الجزائر مع بعض القبائل المناهضة للحكم الزيانين ومنهم عرب بني عامر وبني حصين، متوجها قاصدا تلمسان حيث تمكن من محاصرتها سنة (792هـ/1391م)، يريد بذلك إزاحة أخيه أبي تاشفين من الحكم، ولكنه تراجع بسبب تراجع حلفائه عن نصرته وتخاذلهم، إلا أنه عاد مرة أخرى بعدما جمع الجيوش وأعد العدة وتقابل مع أخيه أبي تاشفين قرب تلمسان في معركة كان الفوز فيها لأبي تاشفين، وفر أبو زيان مغلوبا إلى الصحراء مستنجدا بعرب المعقل الذين قدموا له المساعدة، غير أنه فشل مرة أخرى، مما دفع به إلى إتباع طريق أبي تاشفين واللّجوء إلى البيت المريني يسابق أخاه في ودهم، فرحبوا به ووعدوه بقضاء حاجته حين تتسنى لهم الفرصة[2].

وفي سنة (795هـ/1394م) أعدوا له العدة وقاموا بتجهيزه بالمال والرجال بعدما تبين لهم أن أبا تاشفين ضعفت سياسته نحوهم، فلما وصل أبو زيان إلى إقليم تازا بلغه نبأ وفاة أخيه إثر مرضه في رمضان من نفس السنة، ومبايعة ابنه أبو ثابت مكانه، وتنصيب الوزير أحمد أبي العز وصيا عليه لصغر سنه، كما ظهر عنه أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو المعروف بابن الزابية مطالبا بالعرش، فضلا على أبي زيان بن أبي حمو الثاني الذي يؤيده بنو مرين إلا أنه في الأخير آل الحكم لأبي الحجاج، بعدما قضى على كل من

[1] التنسي :المصدر السابق، ص 81.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 303.

ابن أخيه ووزيره الوصي عليه[1]، وحكم البلاد وتسيدها في جمادى الأولى من نفس السنة[2]، الأمر الذي أغضب أبو العباس المريني فقرر معاقبة الحجاج، فأرسل ابنه أبا فارس عبد العزيز إلى تلمسان، فحاصرها ومن ثم دخلها وأقام فيها الدعوة المرينية، كما قام بالاستيلاء على عدد كبير من مناطق المغرب الأوسط، أما ابن الزابية فقد اعتصم بحصن تاحجمومت، حيث فرض عليها الحصار، وفي هذا الوقت قد ألمّ بالسلطان المريني أبي العباس مرض أثناء إقامته بمدينة تازة ووافته المنية في محرم 796هـ، الأمر الذي دفع ابنه أبو فارس من مغادرة تلمسان والإسراع إلى فاس ليحكم عرش أبيه[3].

تمكن أبو فارس من تولي العرش سنة (796هـ/1395م)، واستطاع أن يخلص أبا زيان بن أبي حمو الثاني وإطلاق سراحه، وقام بإرساله مع حامية من بني مرين إلى تلمسان، فبويع فيها في شهر ربيع الثاني من نفس السنة، فعاد الكيان الزياني للمغرب الأوسط تحت السيطرة المرينية، إلا أنه دخل في صراع مع أخيه أبي الحجاج إلى أن تغلب عليه في ربيع الأول من سنة (797هـ/1396م)، فاستطاع التحكم في شؤون البلاد وأعاد إليها الهدوء والاستقرار، حيث قام بعد ذلك بترميم ما خربته الحرب، فنجح في إعادة تلمسان إلى ما كانت عليه[4]، الأمر الذي أزعج صاحب فاس وهو أن تكون في المغرب الأوسط دولة تنافس دولته وتضاهيها.

ومن أجل ذلك لجأ إلى أحد إخوة أبي زيان بالقضاء عليه وكسر شوكته وهو أخيه أبي محمد عبد الله بن أبي حمو الثاني، فجهزه بالمال والرجال ووجهه صوب عاصمة بني زيان سنة (801هـ/1400م)، وتمكن هذا الأخير من فرض حصار عليها مما دفع بأبي زيان إلى مغادرة تلمسان، بعدما أن تخلى عنها لأخيه متوجها إلى المناطق الشرقية يطلب

---

[1] عبد الحميد حاجيات وآخرون: **الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص 426.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 307، وأيضا: التنسي: المصدر السابق، ص 207.

[3] السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 140.

[4] التنسي: المصدر السابق، ص – ص210 ــ211.

النصرة من الأحياء العربية والزيانية[1]، غير أن أيادي بني مرين طالته عن طريق محمد بن سعود الوغزاني الذي قام بخدمته بغية التقرب منه بأمر من بني مرين، ولما سمحت له الفرصة قام بقتله سنة (805هـ/1405م)[2].

وبهذا تمكن المرينيون من التدخل في شؤون البيت الزياني مباشرة، وأصبحوا يطيحون بمن يشاءوا ويولون عرش تلمسان من يشاءوا، في هذه الفترة كانت دولة بني زيان ضعيفة جدا لأن حكامها نُصِّبُوا بسيوف مرينية من جهة، ومن جهة أخرى انتشار الفوضى السياسية والفتن الداخلية التي جعلتها تفقد الكثير من الأقاليم والمناطق التي تحررت من نفوذها وأصبحت خاضعة لنفوذ بعض القبائل. إلا أن تدخل بني مرين في شؤون المغرب الأوسط استمر، وقاموا بعزل أبي محمد عبد الله وإلقاء القبض عليه والزج به في السجن بفاس، وجعلوا مكانه أبا عبد الله محمد المعروف بابن خولة سنة (804هـ/1403م)[3]، الذي تولى حكم المغرب تحت لواء بني مرين ما يقارب تسع سنوات إلى أن توفي سنة (813هـ/1411م)[4]. فحلَّ محله ابنه عبد الرحمان الذي لم تكن له الخبرة الكافية في إدارة شؤون الحكم، فبعد شهرين من توليه زمام الأمور كان عمه السعيد بن أبي حمو الثاني قد فرَّ من سجنه بفاس، فأطاح به، وتمكن من تولي الحكم مما دفع بعبد الرحمان من مغادرة تلمسان في شهر محرم سنة (814هـ/1412م)[5]. وبعد أن استتب الأمر للسعيد بن أبي حمو الثاني وأصبح هو الآمر الناهي على عرش تلمسان، وهذا ما جعل رجال البلاط المريني يقدون عليه، وبعد المشاورة في ما بينهم اجمعوا على

[1] التنسي: المصدر السابق، ص: ص 228.

[2] نفسه: ص 228.

[3] ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 60.

[4] التنسي: المصدر السابق، ص 234.

[5] عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق، ص 227.

أن يستعينوا بأحد إخوته بعد إخراجه من السجن، فبعد تجهيزه بالمال والرجال توجه أبو مالك عبد الواحد للإطاحة بالسعيد. فتمكن من ذلك في سنة (814هـ/1412م)[1].

وهكذا أصبح بنو زيان لعبة في يد المرينيين يتحكمون فيهم كما يشاءون مما أضعف كيان الدولة وكسر شوكتها بهذه السيطرة المباشرة من طرف السلطة المرينية، مما جعل أفراد البيت الزياني يسارعون إلى فاس من أجل نيل رضاهم، والفوز بمحبتهم لأجل الظفر بكرسي العرش[2].

ليشهد المغرب الأوسط بذلك حروب وصراعات مع الحفصيين بعدما توترت بينهم العلاقات وتأزمت الأوضاع لمدة تقارب الستين سنة، تسبب عنه ترامي نفوذ مملكة إفريقية إلى تخوم المغرب الأوسط[3]، ولم تخف إثرها عليه إلا في عهد أحمد العاقل بعدما أصبحت تعاني من هجمات النصارى على سواحلها[4].

فشغلهم في ذلك أمور المغرب الأوسط الذي لم ينج هو الآخر من هذه الهجمات التي كانت في سبب تعجيل سقوطه وتدخل الأتراك العثمانيين في الشؤون الداخلية للبلاد، إذ قاموا بخلع السلطان الحسن عبد الله بن محمد الثاني آخر أمراء بني زيان سنة(962هـ/1554م)، وبذلك انتهى وجود أمر بني زيان ودولتهم التي عمرت أكثر من ثلاثمائة سنة في المغرب الأوسط[5]، نفس المصير كان ينتظر بنو مرين خاصة بعدما بلغت دولتهم أوج الانحطاط.

---

[1] التنسي: المصدر السابق، ص 235.

[2] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 69.

[3] الزركشي: المصدر السابق، ص 109.

[4] أحمد المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب**، ج4، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968م، ص 524.

[5] عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص 475.

والضعف (875 – 957هـ/ 1470– 1550م)، في هذه السنة تولى بنو وطاس[1] شؤون البلاد وهم فرع من فروع بني مرين، وكانت بداية ظهورهم عندما قام أبو زكريا يحيى الوطاسي حاكم إقليم سلا بالوصاية على الصبي المريني عبد الحق أبي سعيد عثمان، والذي تصدى للهجوم البرتغالي على طنجة ورفع لواء الدفاع عنها حتى تمكن من الفوز عليهم[2].

غير أن البرتغاليين أعادوا الكرة من جديد ونجحوا في احتلال طنجة دون مقاومة سنة (876هـ/1471م)، لأن الوطاسيين لم يتمكنوا من التصدي لهم في عهد أبي العباس أحمد، فامتلكوا الساحل الغربي كله إلى مضيق جبل طارق، ثم اشتعل الصراع مرة أخرى بين الوطاسيين والسعديين بقيادة زعيمهم الشريف محمد المهدي الذي استطاع احتلال فاس سنة (948هـ/1541م). ولم تلبث دولة بني وطاس أن سقطت هي الأخرى على أيدي الأشراف السعديين بسقوط فاس سنة 957هـ، ليتولى هؤلاء الدفاع عن سواحل المغرب من هجمات النصارى[3].

---

[1] **بنو وطاس:** قبائل منبني مرين، يعود سبب دخولهم معهم إلى خروج جدهم وطاس بن المعز بن تاشفين إلى بلاد الزاب لاجئا إليهم بعد سيطرة الموحدين على أملاك بني وطاس، فأصبح وذريته منهم، وعملوا في كثير من المناصب الرسمية في الدولة المرينية. وكان بنو وطاس يتواجدون في قلعة تزوطة ويتحينون الفرص من أجل الرئاسة وامتلاك السلطة، وبسبب ذلك كان المرينيون يولون قلعة تزوطة أهمية خاصة وذلك بوضع حامية مرينية موالية للدولة عليها. ينظر: ابن أبي زرع: **الذخيرة**، المصدر السابق, ص22. الناصري: **الاستقصاء**، المصدر السابق, ج3، ص 72.

[2] حسين مؤنس: **المرجع السابق**، مج2، ص – ص 77– 107.

[3] عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت 1984م، ص 873.

ثانيا : طبيعة الصراع الزياني الحفصي.

1: طبيعة العلاقات الزيانية الحفصية.

لقد تميزت علاقات الدولتين في كثير من الأحيان بالصراع والعداء، إذ سعت كل دولة إلى الاستحواذ على أكبر جزء من رقعة الدولة الموحدية وتوسيعه إلى حدود تَـأمن منها خطر جارتها[1]، وتأثرت العلاقات بين الدولتين بعدة عوامل خارجية، والأحداث التـي شهدتها بلاد المغرب إضافة إلى الأوضاع الداخلية المتغيرة داخل كل دولة[2]، فقد سعى أبو زكريا الحفصي إلى الاستيلاء على الدولة الزيانية، خاصة بعدما تمكن يغمراسن بن زيان من توطيد العلاقات مع الدولة الموحدية، إذ تبادل معهم السفارات وتلقى الهدايا من الخليفة الرشيد الموحدي.

وهذا زيادة على الدور الذي لعبه شيوخ قبائل المغرب الأوسط، حيث اتصلوا بأبي زكريا الحفصي وحرضوه على التحرك نحو تلمسان[3]، وهذا ما تم بالفعل فقـد شـنَّ أبـو زكريا الحفصي حملته العسكرية على تلمسـان انطلاقـا مـن العاصـمة تـونس سـنة (639هـ/1241م)[4]، فوصلها في أواخر شهر محرم سنة (640هـ/1242م)، وتمكن من قهر الجيش الزياني الذي تصدى له أمام المدينة ثم دخلها، أما يغمراسن بن زيان فقد فـر من الحفصيين ولجأ إلى الجبال المجاورة لتلمسان مع عائلته ومجموعة من أنصاره، وفي طريق عودته نصب أبو زكريا الحفصي شيوخ القبائل الزيانية فـي المغـرب الأوسـط " مغوارة و"توجين" على أوطانهم بشرط أن تكون تبعتهم المباشرة للحفصيين، وبهذا العمل يكون أبو زكريا قد وضع حاجزا بشريا يفصله عن الخطر المريني في مراكش وأخضـع

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ــ ص، 175 ــ 176 .

[2] نفسه: ج7, ص 16.

[3] أشار ابن خلدون إلى بعض شيوخ القبائل مثل عبد القوي أمير قبيلة توجين الزيانية وبعض أولاد منديل بن عبد الرحمان أمراء قبيلة مغوارة. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: نفسه، ج7، ص ــ ص ، 207 ــ208.

[4] ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج3، دار الثقافة بيروت، 1969، ص 361.

الزيانيين للحفصيين إلى أن عزم الخليفة المريني أبو الحسن سعيد على التمركز نحو إفريقية للقضاء على الدولة الحفصية في نهاية سنة (645هـ/1247م)[1].

2 :التبعية الزيانية للحفصيين.

لقد بدأت التبعية الزيانية للحفصيين من ذلك الاتفاق الشهير لذي تم بين والدة يغمراسن " سوط النساء" وأبي زكريا[2]، حيث اغتنمت الوالدة يومئذ الفرصة وقدمت للسلطان اقتراحا يضمن طلب العفو عن يغمراسن والسماح له بالعودة لرئاسة قومه من بني عبد الواد تحت طاعة الخليفة، فقبل أبو زكريا هذا الاقتراح تحت شروط بينهما وعاد يغمراسن إلى تلمسان[3]، ورغم كل ذلك لم يكن أبو زكريا يثق في يغمراسن فأثناء عودته إلى تونس أسس إمارات من بني توجين ومغوارة ونصب على رأسها أمراء بمراسيم سلطانية وأغدق عليهم من الأموال ما غرهم به وجعلهم حاجزا بينه وبين خصومه ومنافسيه، حيث كانوا دائما سندا للدولة الحفصية[4].

ورغم وفاة أبو زكريا الحفصي يوم الجمعة في 12 جمادى الآخرة سنة (647هـ/1249م)، إلا أن الزيانيين بقوا متمسكين بولائهم للحفصيين، فكانوا يرسلون أبنائهم وكبار رجال الدولة لتأكيد ذلك، كما استمر ولاء الإمارات التي أوجدها الحفصيون في المغرب الأوسط، غير أن ابن أبي زكريا المستنصر الحفصي اضطر لتجهيز حملة ضد مدينة مليانة من أجل إعادة إخضاعها للنفوذ الحفصي سنة (659هـ/1260م)، لكن لم يلبث الزيانيون حتى استولوا عليها سنة(662هـ/1269م)، ثم خرجت مدينة الجزائر على طاعة الحفصيين سنة (664هـ/1265م)[5]، وقد استغل بنو زيان الظروف التي

---

[1] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ص – ص 360–361.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص207.

[3] التنسي: المصدر السابق، ص 118.

[4] عبد الرحمان جيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 50.

[5] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص164.

طرأت على الدولة الحفصية خاصة بعد الحملة التي شنها الملك الفرنسي " لويس التاسع" (Louis IX) على تونس وحاولوا توسيع نفوذهم في المغرب الأوسط[1].

بعد وفاة يغمراسن خلفه ابنه عثمان سنة (681 ــ703هـ/ 1283ــ 1303م)[2]، الذي اتبع سياسة سلمية مع المرينيين عملا بوصية أبيه رغم علاقة المصاهرة التي كانت بين الملك الزياني وأبي إسحاق إبراهيم الحفصي، وبعد وفاة أحمد بن أبي عمارة الحفصي سنة (623هـ/1284م)، ارتحل أبو زكريا يحيى خفية إلى بجاية واستولى عليها من نفس السنة، فانقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين: القسم الشرقي عاصمته تونس، القسم الغربي عاصمته بجاية، وحاول أبو زكريا الاستيلاء على تونس وقابس لأنه فشل في السيطرة عليها مثلما فشل في الدخول إلى مصراتة شرق طرابلس، وعلى الرغم من التأييد الذي لقيه من قبائل المنطقة، وفي ظل هذه الظروف وفي غياب أبي زكريا الحفصي، حاصر الزيانيون مدينة بجاية (686هـ/1287م) وجددوا بيعتهم لأبي حفص عمر بتونس[3].

وما يلاحظ على نشاط الزيانيين في القسم الغربي من الدولة الحفصية هو في الحقيقية عمل بالوصية التي تركها يغمراسن بن زيان لولده عثمان[4]، وهذا ما تيقن له محمد بن أبي زكريا بن يحيى بن المستنصر المشهور بأبي عصيدة الذي سارع بعد توليه الحكم إلى إعادة بسط النفوذ الحفصي على القسم الغربي، وأيد الحصار لذي ضربه المرينيون على تلمسان سنة (696هـ/1298م), فاستغل الزيانيون هذا الموقف وأعلنوا

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: ج6، ص 229.

[2] نفسه: ج7، ص271.

[3] تحالف أبو حفص عمر الحفصي مع الزيانيين وحاول استثمار غاراتهم على أراضي خصمه أبي زكريا حاكم تونس. ينظر: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 209.

[4] هي الوصية التي تركها يغمراسن بن زيان لإبنه عثمان يوصيه فيها بالجنوح إلى السلم مع الدولة المرينية وتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة الحفصية. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص – ص 189-190.

إنهاء ولائهم للحفصيين وساعدتهم في ذلك الظروف العامة التي ميزت المغرب الإسلامي[1]، من بين هذه الظروف مثلا انشغال المرينيين بحل مشاكلهم الداخلية عقب رفع الحصار بصفة كاملة على تلمسان سنة(736هـ/1331م)، وانشغال الحفصيين بخلافاتهم والاضطرابات التي كانت في أطراف دولتهم، حيث تمكن أبو حمو الثاني (707ـ 718هـ/1308 ـ 1318 م)[2]، من الاستيلاء على مدينتي دلس والجزائر سنة (712هـ/1316م)، في حين فشل أبو زكريا اللحياني حاكم تونس من استعادة بجاية سنة (711هـ/1311م)، مما دفع بأبي يحيى أبو بكر الحفصي حاكم المنطقة الغربية من الدولة الحفصية إلى توجيه السعيد بن يخلف رسولا إلى أبي حمو موسى الزياني لتوطيد العلاقات بينهما ضد اللحياني[3].

وفي كل مرة كان الزيانيون يحاولون بسط نفوذهم على القسم الغربي من الدولة الحفصية حتى تكمل سيطرتهم على المغرب الأوسط واستمرت هذه الحملات إلى غاية استيلاء المرينيين على تلمسان بعد حصارها سنة (737هـ/1337م)، وفي كل مرة كانت تفشل لعدة عوامل منها:

– ضعف وسائل الحصار وانعدام نظام التدريب في الجيش الزياني[4]، وفي عهد أبي تاشفين الزياني[5]، استأنفت الحملات الزيانية على الجزء الغربي من الدولة الحفصية، وقد شجعه ذلك على لجوء بعض شيوخ القبائل إلى تلمسان مصطحبين معهم عبد الواحد بن محمد اللحياني الحفصي حاكم المهدية[6], المنفصل عن السلطة في تونس.

---

[1]عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 230.

[2]التنسي: المصدر السابق، ص 132.

[3]عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص– ص، 744– 745.

[4]التنسي: المصدر السابق، ص 143. وأيضا: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 212.

[5]**عبد الرحمان بن تاشفين:** تولى الحكم من سنة 718هـ/1318م إلى سنة 737هـ/1338م. ينظر: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 139.

[6]خالد بلعربي : المرجع السابق, ص 250

– وضع أبو تاشفين تحت تصرف هؤلاء الشيوخ جيشا بقيادة موسى بن علي الكردي والتقى الجيش الحفصي الذي كان يقوده أبو يحيى أبو بكر الحفصي برقيس قرب مرماجنة[1] سنة (724هـ/1323م)، وأسفرت المعركة عن انهزام الجيش الزياني وفرار قائده إلى تلمسان، وهكذا فشلت الحملة في الاستيلاء على مدينة بجاية[2]، ولم يتقبل أبو تاشفين هذه الهزيمة فجهز مرة أخرى حملة بعدما وفد عليه شيوخ من قبائل سليم[3]، يستنجدون به ضد الحفصيين وأوكل مهمة قيادة الحملة إلى موسى بن علي الكردي، فجمع أبو تاشفين كلمة وفد إفريقية على بيعة إبراهيم بن عبد الرحمان الحفصي وتمكن الجيش الزياني من تحقيق الانتصار بالقرب من مدينة قسنطينة، وتمكن إبراهيم بن عبد الرحمان الحفصي من دخول تونس بمساعدة قبائل سليم، واستولى عليها سنة (725هـ/1327م)[4].

3: احتدام الصراع بين الطرفين ومحاولة فك التبعية.

لقد تواصلت الحملات الزيانية على الدولة الحفصية سنة (726هـ/1325م)، وفي سنة 728هـ تمكنت الجيوش الزيانية من محاصرة قسنطينة والوصول حتى بونة[5]، ودون أي رد فعل حفصي يذكر حتى أن أبا تاشفين الزياني انتقل بنفسه سنة (729هـ/1328م) إلى نواحي بجاية لمعاينة الحصار المضروب عليها عن قرب[6].

لقد مكنت هذه الحملات المتعددة الجيش الزياني ولأول مرة من دخول مدينة تونس في سنة (730هـ/1329م)، وسلمت مقاليد الحكم لابن أبي عمران لكن سرعان ما

---

[1] **مرماجنة:** مدينة داخلية بإفريقية تقع بين بونة قسنطينة: ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص 562.

[2] نفسه: ج6، ص– ص ، 763– 764.

[3] نفسه: ج6، ص 765.

[4] نفسه: ج 6، ص. 766.

[5] **بونة:** مدينة بإفريقيا تقع على البحر إلى الشرق من تونس وتعرف كذلك بمدينة العناب, ينظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1979م، ص 512.

[6] يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 218.

استعادها السلطان الحفصي في شهر رجب من نفس السنة ولوضع حد لمثل هذه الحملات استنجد السلطان الحفصي بأبي سعيد السلطان المريني، فعقد الطرفان اتفاقية تنصُّ على مواجهة الزيانيين[1]، أنهت هذه الاتفاقية متاعب الدولة الحفصية، مما جعل سلاطينها يتفرغون لإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي، وذلك بتأديب القبائل التي تعاونت وتحالفت مع الزيانيين، وضمها إلى نفوذ الدولة الحفصية، وفي المقابل اختفت الحملات الزيانية نتيجة السيطرة المرينية على عاصمتهم تلمسان سنة (794هـ/1348م)، واغتنم الحفصيون هذه الظروف لتثبيت أركان دولتهم وتقويتها.

لكن سرعان ما انقسمت الدولة الحفصية ما بين (1353/1356م)، وانشغل الزيانيون بإصلاح أمور بلادهم الداخلية، فأدت هذه التغيرات إلى ظهور مواقف سياسية جديدة, إذ عقد أبو إسحاق إبراهيم الحفصي وأبو حمو موسى الزياني معاهدة سلام[2]، وتوج هذا التقارب بزيارة قام بها الأمير أبو عبد الله الحفصي[3] إلى تلمسان في جمادى الآخرة من سنة (764هـ/1362م)، وقد استغل مصاهرته مع الزيانيين للتصدي إلى ابن عمه أبي العباس وانتهى هذا الصراع بينهما باستيلاء هذا الأخير على بجاية، وتمكن من توحيد البلاد والحق أنه لم يغير سياسة الزيانيين تجاه الحفصيين؛ هذه السياسة التي وضع أسسها يغمراسن بن زيان وسار عليها خلفاؤه من بعده[4].

---

[1] تمت هذه الاتفاقية سنة 740هـ/1329م. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص- ص، 776-778.

[2] لم تورد المصادر نصّ هذا الاتفاق الذي أبرمه الزيانيون مع أبي اسحاق إبراهيم الحفصي بل اقتصرت على القول بأنه اتفاق سلام. ينظر: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 26.

[3] **أبو عبد الله الحفصي:** وهو صهر أبي حمو موسى الثاني الزياني ومنافس أبي العباس الحفصي على الحكم. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص – ص، 854 – 855.

[4] نفسه: ج6، ص 76.

خلاصة الفصل الثاني:

وما يمكن أن نخلص إليه في آخر هذا الفصل أن العلاقات السياسية بين هاته الدويلات المتجاورة (الزيانية , المرينية),(الزيانية , الحفصية), عرفت توترا و اضطرابا طوال مدة قيام هذه الدول.

كما يتناول هذا الفصل ابرز الأسباب التي أدت إلى تلاحم القوى الثلاث فيما بينها من اجل بسط النفوذ والتوسع في المغرب الإسلامي, والمشاحنة بينهم أهم المراكز التي يحويها مثل قبيلة زناته, أدى كل هذا التنافس لتأزم العلاقات بين دويلات المغرب, وكذلك نشوب العديد من الحروب والصراعات الدامية بينهم.

ومن أهم العوامل التي ساعدت في سوء أو حسن العلاقات هو وقوف يغمراسن حليفا مع الموحدين ضد بني مرين, إضافة إلى طبيعة الأحداث التاريخية التي عرفتها الدويلات, من خلال دراسة الصراعات فيما بينها, والتي أدت إلى سيطرة الدولة المرينية على الدولة الزيانية ومحاصرتها في العديد من المرات مثل الحصار الطويل الذي فرضه المرينيون على تلمسان.

ومن جهة أخرى فإن الدولة الحفصية هي الأخرى سيطرت على الدولة الزيانية بل وأصبحت تفرض عليها التبعية وخاضعة لنفوذها في فترات معينة.

لكن هذا الصراع الطويل لم يمنع الزيانيين من محاولة فك قيود السيطرة الحفصية والمرينية, وهذا كان يتم حسب قوة أمراء بني عبد الواد خاصة في عهد أبي تاشفين الذي تمكن من فك السيطرة على دولتهم.

الفــصل الثــالث: نتائج الصراع على المغرب الأوسط.

المبحث الأول: النتائج السياسية.

المبحث الثاني:النتائج الاقتصادية والاجتماعية

المبحث الثالث: النتائج العمرانية والثقافية.

1:النتائج السياسية .

لقد أفضى الصراع الثنائي الحفصي المريني على الدولة الزيانية ضعفا في قوامها، وهذا تجلى في عهد أبي حمو موسى الثاني الذي تولى الحكم (760ـ773هـ/1359ـ 1371م), حيث يقول ابن الأحمر في وصف حال حكم الدولة: " وفي عهده وهن أمرها وأصبحت بلادهم نهبا موزعا بين بني حفص حينا وبني مرين في معظم الأحوال[1]، وأصبحت شؤونها تحت سيطرة هؤلاء حيث كان الأمراء يقومون ويختفون بتأييد من العرب أو من بني مرين أو الحفصيين[2]، وصارت تعزل ذا وتولي أميرا إلا حسب ما تمليه المصالح، فتغزو أحيانا العاصمة بجيوشها كما حدث في سنة 804هـ لتنصب أبا عبد الله محمد المعروف بابن خوله مكان أخيه أبي محمد[3]، وأيضا كما حدث عام 814هـ لتساعد أبا مالك عبد الواحد ضد أخيه السعيد، كما ظهرت خلال هذه الفترة التي عقبت الصراع من تقاتل السلاطين الزيانيين في ما بينهم وهذا دليل على وجود خلافات وصراعات داخلية، بحيث ساعدت هذه الصراعات والنزاعات القوى الخارجية على إلحاق الهزائم بدولتهم في معظم حروبهم، وإضعاف شأنهم وشأنها[4].

وعمل بنو مرين على انحصار الدولة وانكماشها, بل وانكارها لتستوقع داخل حدود ضيقة، وانحسر نفوذ الدولة وضاقت رقعتها وتقلصت أقاليمها وكيانها[5]، وهذا كله جعلها عرضة لغزو جديد وهو الغزو الإسباني أو كما يسمى بالخطر الإسباني، حيث أن الأسبان كانوا قد أفضوا على الحكم الإسلامي في الأندلس عام 1492م، ووجهوا نشاطهم لغزو البلدان المغاربية، فكانت الدولة الزيانية في هذه الفترة قد وصلت إلى أقصى

---

[1]ابن الأحمر:المصدر السابق, ص 34.

[2]نفسه: ص- ص 34-35.

[3]لخضر عبدلي: المرجع السابق, ص 123.

[4]نفسه: ص 124.

[5]خالد مقلد الغنيمي: المرجع السابق, ص 123.

درجة من الضعف والانحلال[1] ، حيث كانت تعيش نشوب خلافات وصراعات داخلية بين ملوكها حول العرش فانقسموا إلى طامع في الملك ومعارض له[2].

وهذا كان في أيام ولاية السلطان أبي حمو الثالث (909 ــ924هـ/1503ــ 1517م)، والذي انتصب قهرا على العرش، وعند توليه قام بعزل ابن أخيه أبي زيان الثالث الملقب بـــ "المسعود"[3]، وهنا كانت الفرصة سانحة للإسبان فأصبح خطرهم حقيقة واقعية على الدولة الزيانية، حيث اغتنموا الفرصة والظروف التي كانت تعاني منها هذه الأخيرة وأقدموا على احتلال المرسى الكبير عام1505م، على يد القائد " الدون ديسكو القرطبي" الدونزيليين الذي أقدم على فتح أول ثغرة في جدار المغرب الأوسط الساحلي[4].

كما تدخل الإسبان في مشاكل عرش تنس وأيدوا الأمير يحيى بن الثابت شقيق السلطان المخلوع والسجين أبي زيان على الاستقلال بمدينة تنس وأحوازها عام 1506م تحت حمايتهم[5]، وقد تسبب التدخل الإسباني في مشاكل العرش تنس، وذلك بحدوث حروب طاحنة بين عروش تلمسان وتنس، لم يستفد من ذلك سوى الإسبان الذين ثبتوا أقدامهم في بعض أطراف الإمارة، واحتلوا وهران سنة 1509م، ثم بجاية سنة 1510م، ومستغانم سنة 1511م، ودلس وهنين سنة 1531م، لتصبح تلمسان بين فكي كماشة يحيط بها الخطر الإسباني من كل جهة[6].

---

[1] يحي بوعزيز: المقال السابق,ص 27.

[2] مولاي بلحميسي: **نهاية دولة بني زيان, مجلة الأصالة،** ع 26,السنة 1395ه/1975م,ص 32.

[3] لخضر عبدلي: المرجع السابق, ص 130.

[4] يحي بوعزيز: المقال السابق, ص 25.

[5] عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائـــر والمغـــرب في القـــرن السادس عشـــر**, دار الأمل, الجزائـــر,2006م, ج1, ص17.

[6] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق ,ج2, ص222.

مما دفع بسكانها إلى الاستنجاد بعروج[1] أحد الإخوة بربروس[2], الذي كان آنذاك في تنس يقوم بتصفية الحساب مع يحيى الثاني الموالي للإسبان، ثم قام بعد ذلك بالاتجاه إليها عام 1517م، وقام بإطلاق سراح أبي زيان وأعاده إلى العرش[3]، وهنا تعاون الإسبان مع أبي حمو الذي أمدوه بالمال والرجال والسلاح، فهجم على تلمسان سنة 1518م، وتمكن من قتل عروج بمعاونة الإسبان[4]، مما دفع بخير الدين[5] هو الآخر إلى السيطرة على تلمسان سنة 1519م، وبقي فيها بالمرصاد للإسبان حتى سنة 1524م، وما إن حلت سنة 1544م حتى تمكن الإسبان هذه المرة من احتلال تلمسان, فعاثوا فيها فسادا وأحدثت في مقدساتها وحرماتها نكرا وفجورا[6].

ومما زاد الأمور تعقيدا وسوءا ظهور الدولة السعدية بالمغرب الأقصى ومحاولتها هي الأخرى التدخل في شؤون تلمسان بغية احتلالها، فحاولوا اقتحامها سنة 1550م[7]، ونجحت في ذلك لأن الدولة الزيانية كانت قد بلغت درجة السقوط من الضعف الذي مسها من كل الجوانب والاتجاهات، واحتلت مستغانم في نفس السنة وبعدها أخذت تتقدم في اتجاه الجزائر العاصمة، مما أكد نوايا السعديين ضد السلطة العثمانية بالجزائر الذي كان حاكمها في تلك الفترة هو البايلر باي "حسن باشا"بن خير الدين الذي كان يستعد لمواجهة الإسبان بوهران[8],

---

[1]**عروج بربروس:**(1470-1518), عرف لدى الأوروبيين بلقب بربروسا, أي ذو اللحية الحمراء, واصل هذه التسمية, انه قد علا ذكره في غرب البحر الأبيض المتوسط , لما كان ينقذ ألاف من الأندلسيين وينقلهم إلى شمال إفريقيا, استشهد عمره 55 سنة في معركة ضد الإسبان الذين كانوا يحاولون إعادة احتلال تلمسان, ينظر:أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792**, دار البصائر,الجزائر,2009, ط3,ص - ص 141-143.

[2]نفسه: ص 96.

[3]مبارك الميلي:**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**, مكتبة النهضة الجزائرية, الجزائر,د,ت ,ج3,ص51.

[4]عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق, ج2, ص- ص 223 - 228 .

[5]يحي بوعزيز: المقال السابق ,ص27.

[6]مولاي بلحميسي: المقال السابق,ص35.

[7]عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق ,ج2,ص229.

[8]نفسه: ج2, ص229.

فوجه قواته نحو الجيش السعدي، والحق به الهزيمة في حوض الشلف وأرغمه على الانسحاب إلى المغرب الأقصى، وبعد ذلك اتجه حسان باشا إلى تلمسان وعزل أميرها أبا زيان وعوضه بالأمير الحسن بن عبد الله الزياني[1]، وبقي هذا الأخير في منصبه إلى أن عزله البايلر باي "صالح رايس" عام 1554م، وألحق تلمسان بالجزائر العاصمة مباشرة، وكان ذلك النهاية الحقيقية للدولة الزيانية التي عمّرت ثلاثة قرون وثمانية عشر عاما[2]

2: النتائج الاقتصادية .

لقد شهدت الدولة الزيانية خلال وعقب الصراع المرير والمديد تغيير أو بالأحرى تخلخل وتزعزع الجانب الاقتصادي، وما يؤكد ذلك كلام ابن الأحمر أثناء وصفه للحصار الطويل الذي دام على تلمسان، والذي كاد أن يؤدي إلى هلاك بني عبد الواد حيث وصل بهم الأمر إلى نفاذ القمح في المنطقة، ولم يعد يكفي لقوت اليوم حسب وصفه، مما اضطر بأميرهم آنذاك محمد بن عثمان بن يغمراسن عندما أيقن بأن أمره قد انتهى، إذ عرف أنه لم يبق من القمح في البلاد إلا ما يكفي اليوم والغد، حيث جلس هو وأخوه عمر وفكرا في قتل نسائهم وحريمهم[3], وهذا دليل على أن الزراعة قد انعدمت أثناء ذلك الحصار.

وكذلك يعطينا يحيى بن خلدون وصفا خطيرا، وهو يصف حال أهل تلمسان من السوء، عندما بلغ الحصار أقصاه حيث عرفت الأسعار الغلاء مثل أسعار القطط والكلاب والفئران والحيّات، لأن ذلك كله كان يؤكل أو يباع[4].

كما أدت الحروب المتواصلة مع جارتيها الحفصية والمرينية إلى تخريب ودمار ونشوب العديد من الفتن حيث أفضى الصراع الثنائي على الدولة الزيانية إلى الخراب، حيث اضطروا إلى استعمال السقوف للوقود, وغلت أسعار الأقوات والحبوب والمرافق بما تجاوز

[1] يحي بوعزيز: المقال السابق,ص27.

[2] نفسه: ص 28.

[3] ابن الأحمر: المصدر السابق,ص28.

[4] يحي ابن خلدون: المصدر السابق, ص125.

حدود العوائد حيث عجز وجدهم عنه, فكان ثمن مكيال القمح مثلا الذي يسمونه البرشالة ويبتاعون به مقداره اثنا عشر رطلا ونصفا مثقالين ونصف من الذهب العين[1].

كما أحدثت الغارات الموالية على الدولة الزيانية خاصة من الناحية الغربية " الدولة المرينية" تخريبا في العمران والمزارع وإتلافا في المحصولات الزراعية والحيوانية[2]، بل ولم يكفهم ذلك بل وصل بهم الأمر إلى قطع الطرق التجارية البحرية القادمة إلى تلمسان، حيث أغاروا على موانئ البلاد الساحلية وطردوا السفن الجزائرية والصديقة لها، ومن ضمنها سفينة أندلسية قادمة إلى تلمسان بهدايا وتحف أمير بني الأحمر التي استولوا عليها عام 1366م[3]، وكما أن القصور والدور لم تسلم هي الأخرى من هاته الحروب حيث تعرضت إلى التهديم والتدمير بسبب القصف بالمنجنيق المنصوب حول المدينة، والتي كانت قذائفها تهز المنازل داخل المدينة، وقد منعوا عن أهلها الصادرة والواردة وقطعوا عنها الماء[4].

وأطلق المرينيون أيديهم على المنازل نهبا واكتساحا وأصدروا أمرا بقتل كل من يدخل بضاعة أو موارد غذائية إلى مدينة تلمسان، فتضرر السكان في داخلها لانعدام الأقوات واستنفاذ المخازن حتى استهلك الناس أموالهم ومدخراتهم[5]، ونالهم من الجهد وغلاء الأسعار حيث بلغ ثمن الفأر الذي كان يؤكل آنذاك عشرة دراهم والبيضة ستة دراهم والتينة الواحدة بدرهمين[6]، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان بن خلدون:" حدثنا شيخنا محمد بن إبراهيم الآبلي, وكان قهرمان دارهم أن السلطان أبا يزيد سأل صحبه يوم الفرج خازن زرعه عما بقي فقال له قوت اليوم فقط .

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق, ج2, ص 140.

[2] يحي بو عزيز: المقال السابق, ص 10.

[3] نفسه: ص21.

[4] عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق,ص 28 .

[5] نفسه: ص 256.

[6] مبارك الميلي: المرجع السابق, ص 434.

3: النتائج الاجتماعية:

لقد أدت الحروب والأزمات المتتالية على الدولة الزيانية من جارتيها الحفصية والمرينية بالفتك بأعداد كبيرة من السكان[1], حيث بلغ عدد الموتى من أهل تلمسان مائة وعشرين ألف شخص, خاصة أثناء الحصار الطويل الذي فرضه المرينيون عليهم[2], وفي رواية أخرى للزركشي يقول "بلغ عدد القتلى طيلة الحصار ثمانين ألفا"[3].

كما خلف الحصار عدة مجاعات والتي أشارت إليها المصادر التاريخية, حتى أن البعض منهم قال عن أهل تلمسان أنهم اضطروا إلى أكل القطط والفئران وأشلاء الموتى[4], حيث استهلك الناس مدخراتهم وضاقت أحوالهم, فكان الهالك بالجوع أكثر من الهالك بالقتل[5], فتضرر السكان في داخل المدينة لانعدام الأقوات واستنفاد المخازن, فلم يتحمل السكان هذه المجاعة, مما اضطر بالكثير منهم من مغادرة المدينة, إذ لم يبقى فيها إلا نحو ألف جندي مقاتل وقليل من السكان من بينهم أمراء بني زيان وحاشيتهم وحريمهم[6], يقول ابن مرزوق " فكم خرجت فيها من ذمم وكم هلكت فيها من أمم, وكم انجلت من أهلها أعلام, وكم كابدوا من محن فيها وانتقام, فلم يبقى في تلمسان إلا نحو المائتين وكان فيها من المقاتلة نحو ألف, وظلت المدينة خالية من سكانها[7].

وقد أودت الحروب بالكثير من أبناء تلمسان, وشردت منهم الى أقاليم من بلاد المغرب والمشرق, وقد تعرضت ممتلكات سكان تلمسان هي الأخرى إلى التدمير والتخريب

---

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق, ص 259.

[2] ابن الأحمر: المصدر السابق, ص 29.

[3] محمد عيسى الحريري: المرجع السابق, ص 112.

[4] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق, ج7, ص- ص 197- 198.

[5] نفسه: ص 229.

[6] نفسه: ص- ص 197 - 198.

[7] ابن مرزوق الخطيب: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**, تح، ماريا خيسوس, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر 1918, ص 203.

زيادة عن القتل والتشريد[1], فأصبح لأهل تلمسان خبرة ومهارة كبيرة في التعامل مع الشـــدائد وإدراك الخسائر, فكلما انتهى الحصار تضاعف عدد السكان عندما يعود الأمن والاستقرار للمدينة[2], وكان ابن الأحمر قد عبر عما عاناه سكان تلمسان من جراء هذه المجاعة بقوله " حتى أكلوا الجيف والحشرات وجميع الحيوانات من الفئران والعقارب والحيات والضفادع وغير ذلك, بل حتى أكل بعضهم بعضا, وكانوا يغوطون ويجعلون غائطهم في الشمس حتى يعود يابسا فيبطنونه ويأكلونه"[3], وهذا كان للمجاعة الدائمة على أهل تلمسان, وقد انتشرت الأمراض والأوبئة منها مرض "الطاعون" خلال عامي (764 ــ 765 هـــ/ 1363 ــ 1364م), ولعل من أسبابها الصراعات الداخلية على السلطة بين فروع الأسرة الزيانية الحاكمة[4].

كذلك يصف ابن خلدون بعض ما وقع في الحصار الأول لتلمسان سنة 737هـــ , الذي قتل فيه أبو تاشفين وحاشيته, منهم ولداه عثمان ومسعود, ووزيره موسى بن علي وعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق, وقد رفعت رؤوسهم على عصي ورماح بني مرين, وطيف بها وغصت سكك البلد من خارجها وداخلها بالعساكر, وكظَّت أبوابها بالزحام, حتى كبَ الناس على أذقانهم فوطئوا بالحوافر وتراكمت أشلائهم مابين البابين[5], وهذا يدل على كثرة الموتى الذين ماتوا أثناء الحصار الشديد.

---

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق, ص 257

[2] يحي بن خلدون: المصدر السابق, ج1 ص 122.

[3] ابن الأحمر: **روضة النسرين**, المصدر السابق, ص 61.

[4] عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق ص 72.

[5] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق, ج7 . ص 148.

حتى أن ابن خلدون لم يضع له نسبة تقديرية، كما إن ملوك بني مرين ضيقوا الخناق على السكان حتى أخذ منهم الجوع الشديد الذي وصفته المصادر والمراجع, مما دفع بهم الى الاقتيات من جذور الشجر وأوراقها[1].

4: النتائج الثقافية والعمرانية.

على الرغم من اشتداد الصراع بين الزيانيين وبني مرين, إلا أنه أفرز مجموعة من النشاطات العلمية والفكرية التي أثرت في الحياة الثقافية في إقليمي الدولتين, فكانت المنشآت العمرانية الدينية والعلمية التي أنشأها بنو مرين في تلمسان شاهدا حيا على التقدم العلمي والفكري بالمغرب الأوسط خاصة وبالمغرب الإسلامي عامة, وقد مثل هذا التقدم كوكبة من العلماء والفقهاء والأدباء الذين أنجبتهم هذه المدارس العلمية.

ـ المنشآت الدينية والثقافية:

لقد شيد المرينيون العديد من المنشآت العمرانية, والتي كانت شاهدة على اهتمامهم بالعمارة والإنشاء, ودليلا واضحا على عنايتهم البالغة بالعلم والعلماء, وهذه المنشآت عبارة عن مساجد ومدارس وقصور وغيرها, كلها تحمل معاني الإبداع وروح الابتكار الموجودة لدى الفنان المريني, وهي بذلك تعتبر الوجه الأخر للصراع السياسي الذي كان دائرا بين الزيانيين والمرينيين, الذي لم يكن أمرا سلبيا كله بل يحمل في ثناياه العديد من المنافع[2].

---

[1] لمارمول كاربخال: **إفريقيا**, ج2, تر: محمد حجي, محمد زنيبر,محمد الأخضر, أحمد التوفيق,أحمد يتجلون, دار المعرفة للنشر والتوزيع, المكتبة الغربية 1989م, ص 302.

[2] هوارية بكاي: **العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر هجريين(633-962هـ/1233-1554)**, مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط, شعبة التاريخ, قسم التاريخ وعلم الآثار, كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية, جامعة أبي بكر بلقا يد, تلمسان, 2013-2014، ص 562.

1ــ المساجد: ترك المرينيون أثناء تواجدهم بتلمسان ثلاثة مساجد, وهي توجد في أطراف المدينة حيث تتميز بروعة عمارتها وجمال زخرفها وعظمتها, ودورها التاريخي في نشر الدين والعلم واستقطاب العلماء وهذه المساجد هي:

ــ مسجد المنصورة: لقد أنشأ هذا المسجد السلطان المريني أبو يعقوب بن عبد الحق سنة (702هـ/ 1302م), بفضل مئذنته الشهيرة التي يبلغ ارتفاعها 38م, حيث يشير ابن خلدون إلى أن بناء المسجد والمئذنة تم في وقت واحد, وقد بني من الطوب المدكوك على مساحة تقدر بـ 5600 متر مربع وله 13 بابا[1].

لقد كان لهذه المئذنة نواة مركزية مكونة من غرف موضوعة بعضها فوق بعض, تدور حول منحدر مثلما نراه في مآذن مسجدي الكتيبة بمراكش, وحسان بالرباط, ومسجد أشبيلية الموحدي[2].

ــ مسجد أبي مدين الغوث: بناه السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق سنة 739هـ/1339م, بقرية العباد[3], وأعطاه اسم الولي الصالح أبي مدين شعيب[4], أحد متصوفي الغرب الإسلامي والأندلس[5].

---

[1] صالح بن قربة: **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**, الشركة الوطنية للكتاب,الجزائر 1986, ص- ص 115- 116.

[2] رشيد بورويبة وآخرون: **الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين**, الجزائر في التاريخ, ج 3, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر 1984, ص 399.

[3] **العبَّاد:** قرية قديمة تقع في الجنوب الشرقي من تلمسان, وافرة السكان والبقاع, كثيرة الازدهار , دفن بها ولي كبير ذو صيت مشهور, بها مدرسة حسنة الصنع جميلة جدًا, بناها ملوك بني مرين, ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق ج2, ص 24.

[4] **أبو مدين شعيب:** بن حسن الأندلسي جال وساح وأستوطن بجاية مدَّة, وتوفي قرب تلمسان, دفن بقرية العبَّاد, وهو شيخ أهل المغرب في التصوف, ينظر: أبو العباس أحمد الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**, تح: رابح بونار, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر1981, ص- ص 55- 56.

[5] ابن مرزوق الخطيب: المصدر السابق, ص 270.

وقد أشرف على بنائه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق عمَ ابن مرزوق الجدَ صاحب المسند.

لقد كان هذا المسجد آية في الجمال والروعة بفضل سقفه المنضبط الأشكال ــ المصنوع من البرونز ذي المصراعين ــ ومحرابه وقبته وزخرفة جدرانه وأقوامه وصحنه وقاعة صلاته[1], وقد وصفه ابن مرزوق الخطيب بقوله: " أنه اشتمل على الوضع الغريب, وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة على جهته تخالف الجهة الأخرى في الوضع, وقد رقمت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة, فلا يختلج في النفس شك ولا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة وهي كلها مبنية بالآجر والفضة, اشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من الصندل والعاج والأبنوس المذهب, وأما الباب الجوفي الذي يفتح على المدرَج الذي ينزل إلى قبر الشيخ وإلى الشارع وهو باب النحاس المشتمل على مصراعين كلَ منهما مصفَح بالنحاس المنقوش الخواتم المستوفاة المشتركة العمل وتحزيمه على أشكال من نحاس ملوَنة, فهو من غريب ما يتحدَث بيه السفار"[2].

ــ **مسجد سيدي الحلوي:** لقد تأسس هذا المسجد بأمر من السلطان المريني أبو عنان فارس سنة(754هـ/1353م), وذلك تخليدا لوفاة العالم المتصوف أبو عبد الله الشوذي الأشبيلي المعروف بالحلوي المتوفى سنة (737هـ/1337م)[3], وهذا المسجد له نفس مواصفات مسجد سيدي أبي مدين بالعبَّاد[4], لهذا المسجد بيت صلاة مكونة من خمس

[1] ابن مرزوق الخطيب: المصدر السابق: ص 271.

[2] عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق, ص- ص 6 - 65.

[3] **أبو عبد الله الشوذي:** المعروف بالحلوي نزيل تلمسان, تولى قضاء اشبيلية في أواخر الدولة الموحدية, ينظر: ابن مريم: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**, نشره محمد بن أبي شنب, وتقدم له عبد الرحمان طالب, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر 1986, ص 70.

[4] هوارية بكاي: المرجع السابق, ص 566.

بلاطات عمودية على جدران المحراب, وصحن مربع ومئذنة موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية, ومدخل مزخرف. ولا يختلف عنه إلا في بعض العناصر المعمارية[1].

2- المدارس:

إن المدارس التي بناها بنو مرين في تلمسان, لم تعرف المصير الذي عرفته المدارس الزيانية, فلا تزال مدرسة العبَّاد قائمة إلى يومنا هذا تعاني عوادي الزمن والإهمال ولامبالاة الإنسان، وخلال دراستنا هذه سنقتصر الحديث عن مدرستين كنموذج لمدارس بني مرين في تلمسان, والتي تخرج منها العديد من فطاحل العلماء والأدباء, الذين ساهموا بقسط كبير في ثقافة المغرب الأوسط.

ــ مدرسة أبي مدين بالعبَّاد: قام ببنائها السلطان أبو الحسن المريني على ربوة مطلة على تلمسان بالقرب من روضة أبي مدين الغوث, وذلك سنة (747هـ/1347م), أي بعد ثمانية سنوات من إنشائه للمسجد, وقد سميت هذه المدرسة بالمدرسة الخلدونية, وهذا في وقت متأخر ربما بسبب دراسة ابن خلدون بها[2].

وتعد هذه المدرسة أجمل مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط[3], فهي تمتاز بزخرفتها وفنها المعماري ذي الأقواس المنكسرة والأجور المدهون باللون الأخضر, ويوجد في فنائها صهريج مزخرف وفيه صحن دائري من الرخام مخصص للشرب والوضوء شيد أمام قاعة كبيرة للمحاضرات و إلقاء الدروس[4], وهي تضم طابقين: الطابق السفلي يحتوي على عشر حجرات والطابق العلوي يتضمن ثماني حجرات, كانت مخصصة لطلاَب العلم الدَاخليين (الغرباء, الفقراء), كما كانت توجد بالمدرسة حجرات أخرى عند المدخل يتضح أنها كانت مخصصة لتخزين المواد الغذائية وأدوات التنظيف وتحضير الطعام[5].

---

[1] رشيد بورويبة: المرجع السابق, ج3, ص 503.

[2] هوارية بكاي: المرجع السابق, ص- ص 566- 567.

[3] عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق, ص 65.

[4] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق, ص 143.

[5] نفسه: ص 143.

ــ **مدرسة سيدي الحلوي:** تأسست هذه المدرسة من طرف السلطان المريني أبي عنان فارس بعد خمس سنوات من بناء مدرسة العباد, وذلك بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الأشبيلي المعروف بالحلوي[1], الذي يقع في شمال المدينة حيث يوجد المسجد[2]، وقد بقيت هذه المدرسة قائمة حتى أوائل القرب 10هـ /16م, حيث ذكرها ابن مريم في كتابة البستان[3], إلا أنها لم تنل شهرة كبيرة مقارنة بالمدارس الأخرى[4].

[1] يحي بن خلدون: المصدر السابق, ج1, ص– ص 127– 128.

[2] هوارية بكاي: المرجع السابق, ص 168.

[3] بن مريم التلمساني: المصدر السابق, ص 25.

[4] يحي بن خلدون: المصدر السابق, ص 128.

خلاصة الفصل الثالث:

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول بأن الصراع الذي نشب بين القوى الثلاثة (الحفصيون, الزيانيون, المرينيون), أدى بالدولة الزيانية إلى الضعف والانحلال في جميع الجوانب, خاصة الجانب السياسي, حيث عرفت الدولة نشوب صراعات داخلية بين إفراد الأسرة الحاكمة, والأسوأ من ذلك تدخل الحفصيين والمرينيين في شؤونها وأمورها الداخلية, ومع مطلع القرن السادس عشر, وجدت الدولة الزيانية نفسها في مواجهة المد الإسباني الذي حاول السيطرة على كثير من سواحل المغرب الإسلامي, في فترة وجيزة استطاع الأسبان السيطرة على المرسى الكبير سنة 1505 م,إضافة إلى تدخل الأتراك العثمانيين في الشؤون الداخلية للبلاد, وبذلك اضمحلت الدولة الزيانية في منتصف القرن 16م.

أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية, فقد كان الوضع مزريا إلى حد كبير, حيث شهد السكان غلاء في الأسعار وندرة في المحصول,وهذا ما أدى إلى ظهور مجاعات سحقت ونسفت بالكثير منهم, إضافة على ذلك الإمراض والأوبئة, التي أودت بأعداد هائلة منهم، ناهيك عن عدد القتلى الذي راح أثناء الصراع الذي أحصاه ابن الأحمر بمائة وعشرين ألف قتيل.

أما الجانب الثقافي والعمراني, هو الجانب الوحيد الذي يمكن أن نصفه بالإيجابي, فقد عرفت المنطقة تشييد العديد من المساجد والمدارس التي كان لها الدور الأبرز في تنشيطا لحركة العلمية والثقافية للبلاد, والأشهر من ذلك مدينة المنصورة التي شيدت أيام الحصار الطويل الذي فرضه المرينيون على العاصمة تلمسان.

الخـــاتـــمـــة

من خلال بحثنا هذا يمكن أن نستنتج عدة نتائج نستخلص منها ما يلي:

- ✓ لقد كان قيام القوى الثلاثة الجديدة في المغرب الإسلامي, كنتيجة للضعف الذي دبَّ في قوام الدولة الموحدية.
- ✓ ما يلاحظ أن الدويلات الثلاثة, كانت تسعى كل واحدة منها إلى التوسع على حساب الأخرى, فكان بذلك أول سبب لنشوب هذا الصراع والخلاف الطويل.
- ✓ كذلك لقد كانت فكرة الوريث الشرعي لدولة الموحدين منطلق الصدام الذي دام لسنين عديدة.
- ✓ إضافة الى ذلك ما شكلته قبيلة زناته, التي كانت هي الأخرى تمثل شرارة الصراع الزياني المريني.
- ✓ من خلال دراستنا بدا لنا أن دولة بني مرين كانت أقوى الدويلات التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية, حيث استطاعوا السيطـــرة على الدولـــــة الزيانيـــــة, وإخضاع الحفصيين في بعض الفترات, كما كانت تنتصر في كل حروبها خاصة مع الزيانيين, وهذا راجع إلى قوة السلطة الحاكمة إقليم الدولة.
- ✓ الدور الكبير لسلاطين بني مرين في تصعيد العلاقات السياسية أثناء حروبها مع أعدائها.
- ✓ الدور الذي لعبته دولة الموحدين في إحياء التوتر السياسي بين دولتي بني زيان وبني مرين, وهذا من خلال بثها للفتن بينهما, من أجل خدمة مصالحها وإبقاء هيبتها.
- ✓ نستنتج أن الصراع الزياني الحفصي, رغم العداء, إلا أنه كانت بينهما علاقات حسنة اتسمت بالطيبة, وهذا ما لحظناه في حادثة "سوط النساء".

- ✓ لقد كان للحصار الطويل الذي فرضه بنو مرين على عاصمة الدولة الزيانية تلمسان وقع كبير مسَّ كل جوانبها, عان منه السكان مرارة العيش, من مرض ومجاعة, أودت بحياة الكثير منهم.
- ✓ كان للصراع بين بيني زيان وبني مرين أثر إيجابي, خاصة في الجانب العمراني, حيث قام بعض سلاطين بني مرين بتشييد العديد من المنشآت العمرانية, من أشهرها مدينة المنصورة, وكذلك العديد من المساجد والمدارس التي لازالت شاهدا حياً على نتائج الصراع.
- ✓ نستخلص أن صراع الدويلات الثلاثة وحب كل منهم للسيطرة وبسط النفوذ, قد رجع عليهم بالسلب, حيث استنفذت هذه الدويلات كل قواها العسكرية, مما جعلها مهيأة للخطر الخارجي, وهو ما وقع بالفعل, فقد كانت الدولة الزيانية هدفا سهلا للإسبان, فلو كان هناك تفاهم واتحاد لما شهد المغرب الإسلامي الخطر المسيحي.

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة مجال الدولة الموحدية[1].

توضح هذه الخريطة المجال السياسي لدولة الموحدون في اوج عظمتهم.

[1] شوقي ابو خليل:. أطلس التاريخ العربي الإسلامي, دار الفكر, دمشق, 2005, ط5 ص 79.

الملحق رقم (02): رسم تخطيطي يوضح مواقع حسن العقاب[1]

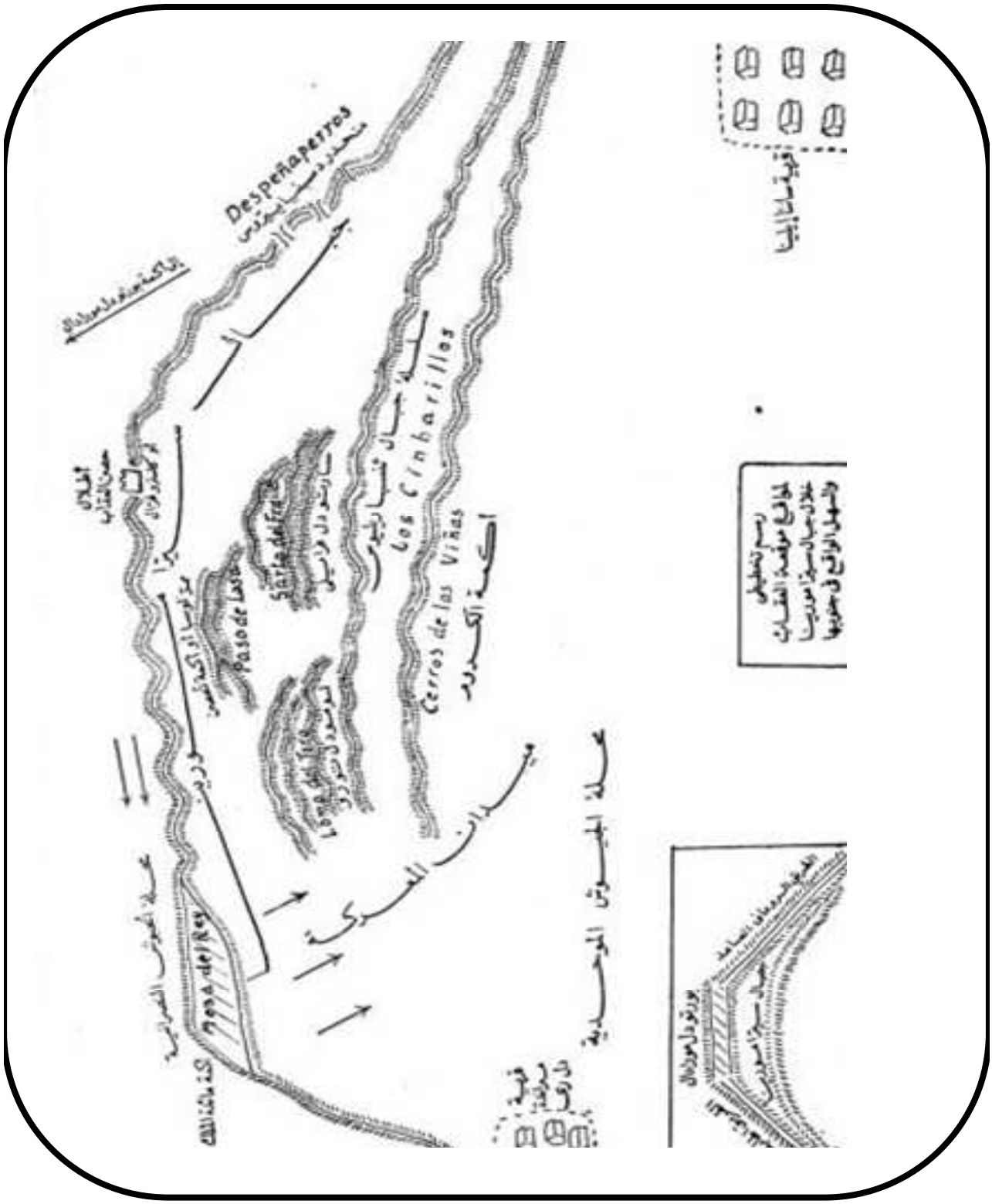

[1] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق,ع3, ق2, ص 309.

الملحق رقم (03) :خريطة للمغرب الإسلامي بعد تفكك الدولة الموحدية [1]

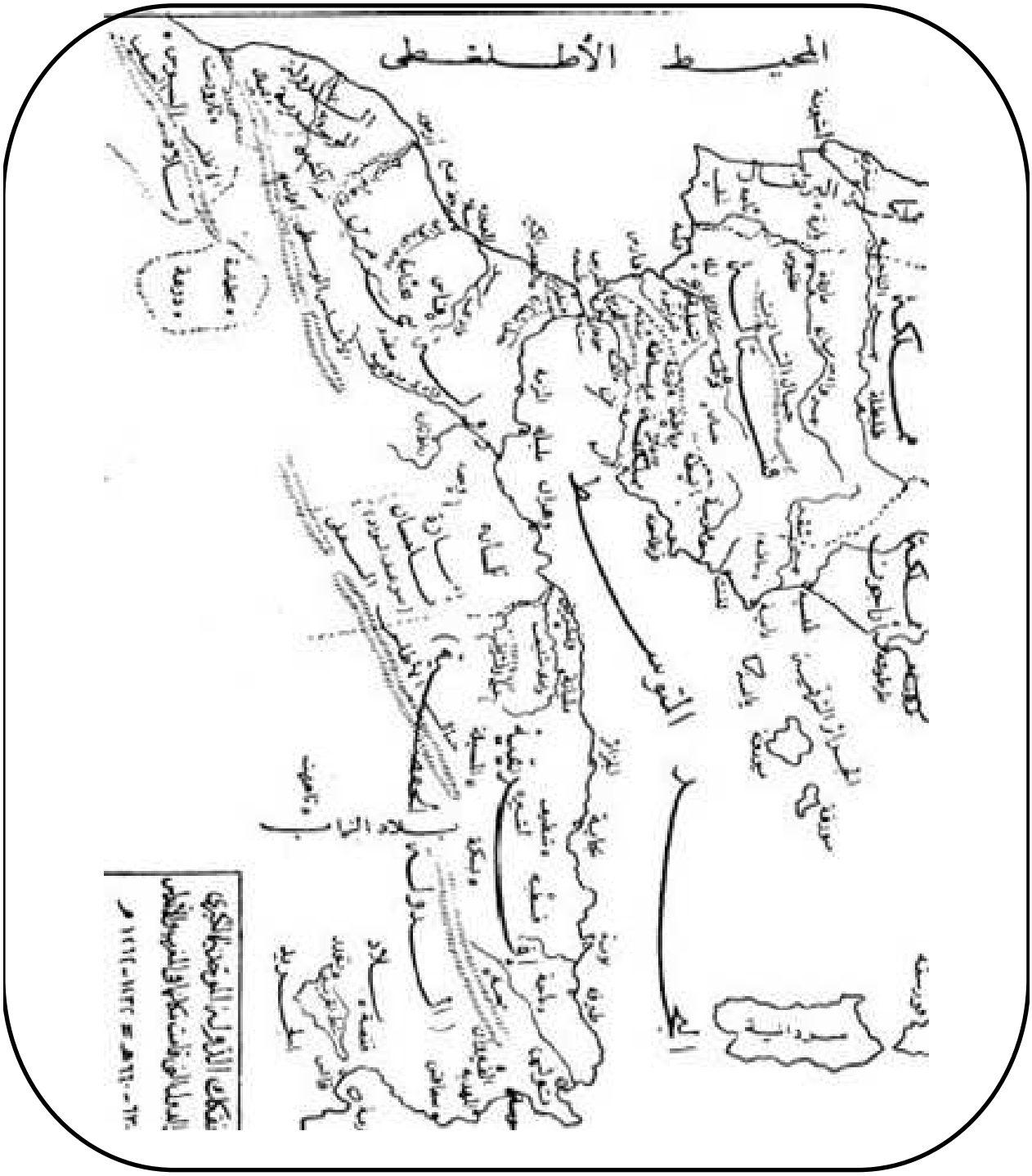

توضح هذهالخريطة المجال الجغرافي للدويلات التي قامت على أنقاض دولة الموحدين

محمد عبد الله عنان: المرجع السابق, ج3, ص 569 .

الملحق رقم (01): خريطة مجال الدولة الحفصية[1]

خريطة مجال الدّولة الحفصيّة

توضح هذه الخريطة المجال السياسي لدولة بني حفص.

19:15 2017/04 /23 *http://encysco.blogspot.com/2015/03/15.html*

الملحق رقم (05): خريطة للمغرب الأوسط في العهد الزياني[1]

توضح هذه الخريطة المجال السياسي للدولة الزيانية

[1] محمد عمرو الطمار: المرجع السابق, ص 115.

الملحق رقم (06): خريطة دولة بني مرين في اقصى اتساعها.

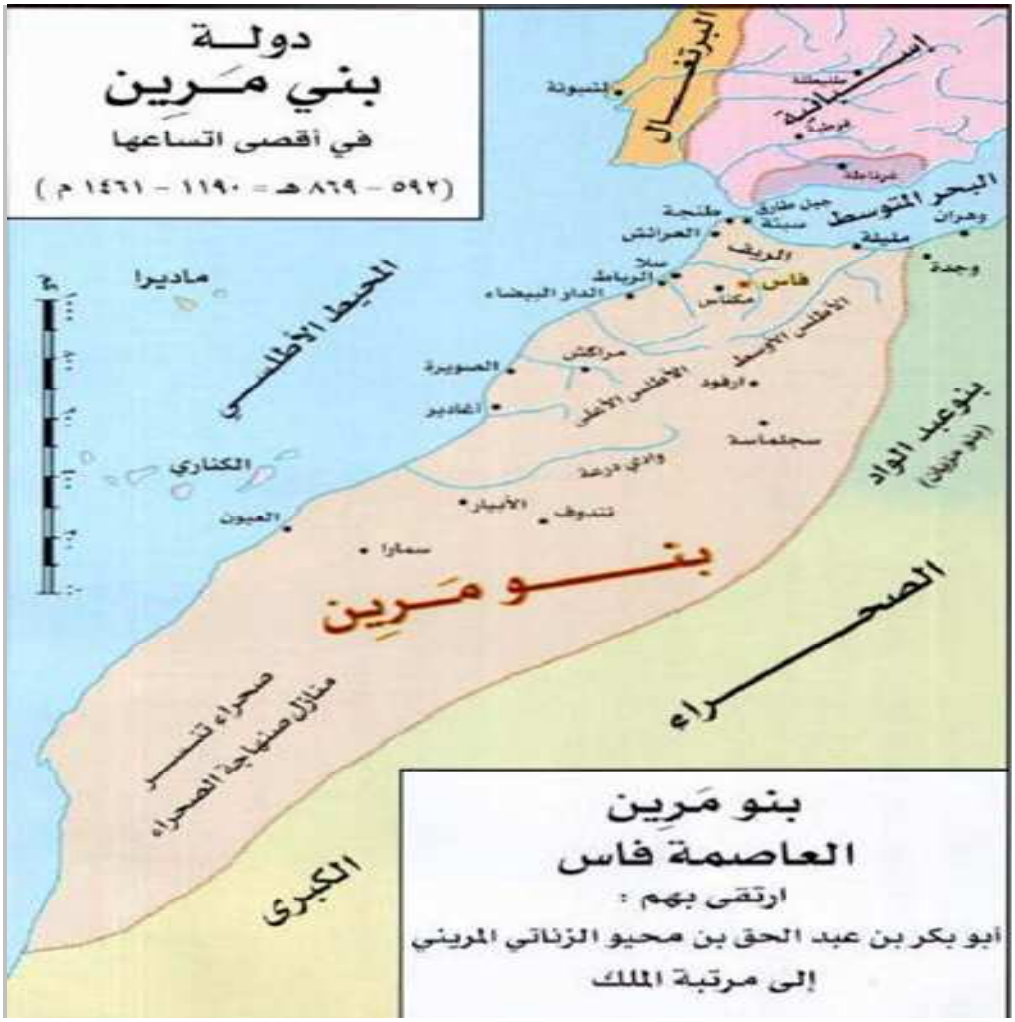

توضح هذه الخريطة المجال الجغرافي لدولة بني مرين في عهد ابو بكر بن عبد الحق المريني

[1] شوقي أبو خليل: المرجع السابق, ص 70.

قائمة المصادر والمراجع

قـــائمـــة المصـــادر والمراجـــع

المصادر:

1. ابن أبي زرع الفاسي : **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية,** دار المنصور, الرباط, 1972م.

2. ـــــــــ: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب تاريخ مدينة فاس،** تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة، الرباط، 1972م.

3. ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان،** تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، ط1 ، 1421هـ/2001م

4. ـــــــــ: **روضة السيرين في دولة بني مرين،** المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

5. ابن عماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ب, ت، ج6.

6. ابن مريم: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان,** نشره محمد بن أبي شنب, وتقدم له عبد الرحمان طالب, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر 1986.

7. أبو العباس أحمد الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية,** تح: رابح بونار, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر1981.

8. أبو عبد الله محمد الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،** تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس.

9. أبو عبد الله محمد بن أحمد الشّماع: **الأدلّة البيّنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصيّة**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م.

10. إسماعيل بن الاحمر: روضة **النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

11. التنسي محمد بن عبد الله: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان**، تح : محمود بوعياد، الجزائر 1985م

12. الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**،ج1، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

13. الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان.

14. السلاوي (أحمد بن خالد الناصري): **الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى**، ج1 ، دار الكتاب الإسكندرية، 1954م.

15. عبد الرحمان بن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، الجزء السادس والسابع و الثالث عشر, دار الفكر، بيروت لبنان، 1431هـ/ 2010م.

16. عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975

17. عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العربان، د ط، المجـــلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، (د ت) ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، 1982م

18. القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا،** ج5، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963م.

19. يحيى بن خلدون: **بغية الرواد في ذر الملوك من بني عبد الواد،** ج1، تح : عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية،1980.

المراجع :

20. ابو خليل شوقي: اطلس التاريخ العربي الاسلامي , دار الفكر, دمشق, 2005, ط5.

21. الأمين محمد محمد وعلي الرحماني محمد: **المفيد في تاريخ المغرب،** دار الكتاب، الدار البيضاء، د س ط.

22. بالعربي خالد: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،** دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر،2011.

23. بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائـــر والمغـــرب في القــرن الســادس عشــر**, دار الأمل, الجزائــر, 2006م, ج1.

24. بن قربةصالح: **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**, الشركة الوطنية للكتاب,الجزائر 1986.

25. بورويبــة رشيــد وآخــرون: **الحياة الفنية في عهــد الزيانييــن والمرينييــن**, الجزائر في التاريخ, ج 3, المؤسسة الوطنية للكتــاب, الجزائر 1984.

26. حاجيات عبد الحميد وآخرون: **الجزائر في التاريخ،** ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

27. حاجيات عبد الحميد: **أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1982م،

28. الحريري محمد عيسى: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)ـ(869هـ/1265م)**، دارالقلم، الكويت، 1987.

29. الدراجي بوزيان: **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993م.

30. سالم عبد العزيز: **المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت 1984م.

31. السالم عبد العزيز: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، د، ت.

32. سيفر لخضر: **التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي**، ج1، الأمن للدراسات، الجزائر، 2007.

33. الصلابي محمد علي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، ج2، دار الجوزي، القاهرة، مصر، 2007م.

34. الطمار محمد عمرو: **تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

35. عطاء الله دهينة وآخرون: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

36. عنان عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الثالث، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط2، القاهرة، 1411هـ/ 1990م.

37. غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م.

38. فيلالي عبد العزيز: **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، دار النشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

39. كاربخال لمارمول: **إفريقيا**, ج2, تر: محمد حجي, محمد زنيبر, محمد الأخضر, احمد التوفيق, احمد يتجلون, دار المعرفة للنشر والتوزيع, 1989م.

40. محمد الجيلالي عبد الرحمن بن: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، دار الثقافة، بيروت 1980م.

41. مختار العبادي أحمد: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د س ط،.

42. مختار حساني: **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013م.

43. المدني احمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792**, دار البصائر,الجزائر,2009, ط3.

44. المطوي محمد العروسي: **السلطنة الحفصية**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.

45. مقلد الغنيمي عبد الفـــتاح: **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،1994م.

46. مؤنس حسين: **تاريخ المغرب وحضارته**، مج2، ط1، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992م.

47. الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، م و ك، الجزائر 1986م.

48. الميلي مبارك: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**, مكتبة النهضة الجزائرية, الجزائر, د, ت , ج3.

المجلات والدوريات:

49. بلحميسي مولاي: **نهاية دولة بني زيان, مجلة الأصالة العدد 26,** السنة 1395ه/1975م.

50. بوعزيز يحي: **المـــراحل والأدوار التـــاريخية لـــدولة بني عبد الواد،** مجلة الأصالة، العـــدد 26، الســـنة 1335هـــ/1975م.

51. عبد القادر حاج: "**العلاقات الخارجية للدولة الزيانية**"، مج , العصور الجديدة، العدد2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 1432هـــ/ 2011م.

الرسائل الجامعية:

52. بكاي هوارية: **العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشرهجريين(633-962هـــ/1233-1554),** مذكـــرة لنيـــل شهـــادة الدكتوراه في تاريـــخ المغـــرب الإســـلامي الوسيـــط, شعبـــة التاريـــخ, قسم التاريخ وعلم الآثار, كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية, جامعة أبي بكر بلقايد, تلمسان, 2013-2014.

53. بلحسن إبراهيم: **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7إلى القرن 9هـــ/13إلى 15م،** رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان 2005/2004م.

54. مكيوي محمد: **الأوضاع السياسية والثقافية لدولة بني عبد الوادية منذقيامها حتى نهاية أبي تاشفين الأول (633هـــ/1236م)(737هـــ/1337م)،** رسالة ماجستير، تلمسان (2001/2000م).

المواقع الالكترونية

55. http://encysco.blogspot.com/2015/03/15 2017/04/23 19:45/.

الـــفـــهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
الآيـــــــــــــــــــــــــــة	
الإهـــــــــــــــــــداء	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
مـــــــقـــــــــدمـــــــــــــة	**أ – ز**
مـــــــــــدخـــــــــــل: أوضاع المغرب الإسلامي قبل مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي)	**12 – 8**
الفصل الأول: القوى السياسية بالمغرب مابين القرنين السابع والعاشر هجريين	**31 – 13**
أولا :الدولة الحفصية	**17 – 14**
1 أصل الحفصيين	**14**
2 لمحة تاريخية عن تأسيس الدولة الحفصية	**17 – 14**
3 الحدود الجغرافية والسياسية للدولة الحفصية	**17**
ثـــانـــيـــا :الدولة الزيانية	**23–18**
1 أصل الزيانيين ونسبهم	**21 – 18**
2 المجال السياسي لدولة بني عبد الواد	**23–22**
ثـــالـــثـــا: الدولة المرينية	**30–24**
1 أصل ونسب بني مرين	**25–24**

2 تأسيس وقيام دولة بني مرين	29-25
3 المجال السياسي للدولة بني مرين	30-29
خلاصة الفصل الأول	31
الفصل الثاني :الصراع الزياني المريني والزيَّاني الحفصي	53-32
أولا :الصراع الزياني المريني	46-33
1 نشأة الصراع وبدايته بين الطرفين	35-33
2 مظاهر الصراع بين الطرفين	41-35
3 تواصل الصراع بين بني مرين وملوك بني زيان	46-42
ثانيا :طبيعة الصراع الزياني الحفصي	51-47
1 طبيعة العلاقات الزبانية الحفصية	48-47
2 التبعية الزيانية للحفصيين	51-48
3 احتدام الصراع بين الطرفين ومحاولة فك التبعية	52-51
خلاصة الفصل الثاني	53
الفصل الثالث: نتائج الصراع على المغرب الأوسط	67-54
1 النتائج السياسية	58-55
2 النتائج الاقتصادية والاجتماعية	62-58
3 النتائج الثقافية والعمرانية	66-62
خلاصة الفصل الثالث	67
الخاتمة	70-69

الملاحــق	76-71
قائمة المصادر والمراجع	84-77
الـــــفـــــهـــــرس	87- 85